الدار الآخرة

تطاير الصحف - الميزان - الحوض - الصراط



الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الــدَّارُ الآخِــرَةُ

(٢٦)

تَطَايُر الصُّحُف - الْمِيزَان

الْحَوض- الصِّراط

للشيخ / ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآَخِرَة
تَطَايُرُ الصُّحُف- الْمِيزَان- الْحَوض- الصِّراط

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـــ تعالى ـــ وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولاً: تطـــــــــاير الصحف

مُقَدِّمَة

الله تعالى لم يخلق الإنسان سُدَى و لم يتركه هملاً، بل أفعاله وأقواله مسطورة محسوبة عليه، وقد جعل الله ملكاً عن يمينه يكتب الحسنات، وملكاً عن الشمال يكتب السيئات.

كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ{١٠} كِرَاماً كَاتِبِينَ{١١} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[الانفطار:١٠-١٢]

وقـــــال تعالى: {أَمْ أَبْرَمُـــــوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ {٧٩} أَمْ يَحْسَبُـــــونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْـــــوَاهُم بَلَـــــى وَرُسُلُنَـــا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف:٧٩-٨٠]

دع عنك ما قد مات في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

لـــم ينساه الملكـــــــــان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب

فالأفعال مسطرة مكتوبة؛ **قال تعالى:**

{ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس:١٢]

كذلك الأقوال مسطرة مكتوبة، **قال تعالى:** {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ{١٦} إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ{١٧} مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٦-١٨]

فوائد وتنبيهات:

١- الملائكة يتعاقبون على الإنسان في صلاة العصر والفجر

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصلُّون"

٢- الله تعالى أعطى الملائكة القدرة على الاطلاع على ما يَهِمُّ به الإنسان

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

"إن الله ﷻ قال للملائكة: يا ملائكتي، إذا همَّ عبدي بحسنة فعمِلَها فاكتبوها له عشراً، فإذا لم يعملها فاكتبوها له حسنة واحدة، وإذا همَّ عبدي بسيئة فعملها فاكتبوها له سيئة واحدة،

وإذا لم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإنه إنما تركها من جرَّائي[١]"

- وفي رواية عند مسلم أيضاً: "تقول الملائكة لربها: يا ربنا هاهو عبدٌ من عبادك يريد أن يعمل معصية، فيقول الله: يا ملائكتي، أمْهِلوه وراقبوه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة، وإن لم يعملها فاكتبوها له حسنة"

٣- من رحمة أرحم الراحمين بعباده أن جعل ملك الشمال لا يكتب الذنب إلا بعد ست ساعات

ودليل ذلك ما أخرجه الطبراني في "الكبير" بسند حسن عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن صاحب الشمال ليرفع القلم ستَّ ساعاتٍ عن العبد المسلم المخطئ؛ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة" (صحيح الجامع:٢٠٩٧)

---

(١) من جرَّائي: أي من مخافتي.

- فإذا مات الإنسان طُوِيت هذه الصحيفة التي كتبت فيها أعماله من خيرٍ أو شرٍّ

وجعلت في عنقه، فإذا كان يوم القيامة نُشِرت الدواوين، وتطايرت الصحف، **كما قال تعالى**:

{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}[التكوير:١٠]

فيأخذ كل إنسان كتابَه، ولا يقع كتاب في غير يد صاحبه، إنها لحظة فارقة تُفرِّق بين أهل الحق وأهل الباطل، فالكل يأخذ كتابه وفيه سجل كامل لأعماله التي عمِلها في الحياة الدنيا، فقد سُجِّل في هذا الكتاب أعمال الإنسان وأقواله، صغيرها وكبيرها؛ **كما قال تعالى**:

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [الكهف:٤٩]

وهنا يظهر المستور، ويفتضح المكتوب، فلا تغادر الصحيفة بليةً كتمها الإنسان، ولا معصية أخفاها، فكل شيء مُسطَّر مُدوَّن؛ **كما قال تعالى**:**{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨]**

وقال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ{٥٢} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}[1] [القمر:٥٢-٥٣]

- يقول ابن كثير -رضي الله عنه- في تفسير هذه الآية:

"أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة - عليهم السلام -" **(مختصر تفسير ابن كثير:٣/٤٥٩)**

وقال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} [الإسراء:٧١]

وقوله: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ } أي بكتاب أعمالهم، **وذلك لقوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ }[يس:١٢]**

(١) مُسْتَطَرٌ: أي مجموع عليهم، ومُسَطَّر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

- احذر...فكل شيء مُسطَّر مكتوب

وقد جاء في "مسند الإمام أحمد" عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ قال:

"يا عائشة إياك ومُحقِّرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً"

وروى هذا الحديث الحافظ ابن عساكر وفيه أن سعيد بن مسلم– وهو أحد رواه الحديث –قال: "فحدَّثت بهذا الحديث عامر بن هشام، فقال لي: ويحك يا سعيد! لقد حدَّثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره، فآتاه آتٍ في منامه، فقال له: يا سليمان،

لا تحقرن من الذنــــوب صغيراً ... إن الصغير غداً يعود كبيراً

إن الصغير ولو تقادم عهده ... عند الإلــــــــه مُسَطَّر تسطيراً

فازجر هواك عن البطالة لا تكن ... صعب القياد وشمرْ تشميراً

إن المحــــــــــــب إذا أحب إلهه ... طـــــــار الفؤاد وألهم التفكيرا

فاسأل هــــــدايتك الإله بُنيــــَّــه ... فكفى بربك هـــــــــــادياً ونصيراً

– وهاهو الحسن البصري – رحمه الله– تلا قوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ }[ق:١٧]، فقال:

"يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووُكِّل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أَقْلِلْ أو أَكْثِرْ، حتى إذا مِتَّ طُويت صحيفتُك، فجُعِلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول تعالى: **{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً{١٣} اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}** [الإسراء:١٣-١٤]"

ثم قال الحسن البصري – رحمه الله-: "عدل والله فيك مَن جعلك حسيب نفسك" (مختصر تفسير ابن كثير:٣/٤١٢)

- تطاير الكتب وصفة أخذ الكتاب:

عندما يقف الناس جميعاً في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، وفي هذا الموقف العصيب تتطاير الصحف، فهناك مَن يأخذ كتابه بيمينه، وهناك مَن يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وقد ذُكِرَ هذان الصنفين في القرآن الكريم، **حيث قال رب العالمين:** {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ{٧} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً{٨} وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً{٩} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ{١٠} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً{١١} وَيَصْلَى سَعِيراً} **[الانشقاق:٧-١٢]**

وقال تعالى عن الصنف الأول: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{١٩} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ{٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} **[الحاقة:١٩-٢٤]**

- يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره:

"يخبر تعالى عن سعادة مَن يُؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحته بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكلِّ مَن لَقِيَهُ: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ}أي: خذوا اقرءوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خيرٌ وحسناتٌ محضةٌ، لأنه ممَّن بدَّل الله سيئاته حسنات"

- قال عبد الرحمن بن زيد: "معنى {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ}: "أي" ها اقرءوا كتابيه"، و"ؤم": زائدة **كذا قال**، والظاهر أنها بمعنى: "هاكم"

وقد تقدَّم في "الصحيح" حديث ابن عمر **-رضي الله عنه-** حين سُئِل عن النجوى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كُلِّها، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: {هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} **[هود:١٨]**"

- **وقوله تعالى:** {إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ} أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، **كما قال تعالى:** {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} **[البقرة:٤٦]**

- **قال الله تعالى:** {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}أي مرضية، {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} أي: رفيعة قُصُورُها، حسانٌ حورها، نعيمةٌ دُورُها، دائمٌ حُبُورُها، **وقد ثبت في "الصحيح": "إن الجَنَّة مائةُ درجةٍ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض" (البخاري)**

- **وقوله:** {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} أي: قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، وكذا قال غير واحد، {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً وإنعاماً وإحساناً، **وإلا فقد ثبت في "الصحيح" عن رسول الله ﷺ أنه قال:**

"اعملوا وسدِّدوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يُدْخلَهُ عَمَلُه الجَنَّة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ"

- **ثم قال تعالى عن الصنف الثاني:** {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{٢٧} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ{٢٩} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ{٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ{٣٢} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{٣٣} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ{٣٤} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{٣٦} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ} **[الحاقة:٢٥-٣٧]**

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعْطِي أحدهم كتابه في العرصات بشماله؛ فحينئذ يندم غاية الندم، **فيقول:** {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} يعني: موتة لا حياة بعدها، **وقال قتادة:** "تمنَّى الموت و لم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه"

- {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{٢٨} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ}أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خَلَصَ الأمرُ إليَّ وحدِي، فلا معين لي ولا مجير، **فعندها يقول الله** ﷻ: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ {٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} أي يأمرُ الزبانية أن تأخذه عُنْفَاً من المحشر، فتَغُلُّه: أي تضع الأغلال في عنقه، ثم توردِه إلى جهنم فتصليه إياها، أي: تغمره فيها، {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} أي:أغمُرُوه فيها.

- **وقوله تعالى**: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} قيل: بذراع الملك {فَاسْلُكُوهُ}، قيل: تدخل في اِسْتِهِ ثم تخرج من فِيهِ، ثم ينظمونه فيها كما ينظمُ الجرادُ في العود.

-{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{٣٣} وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} أي لا يقومُ بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويُؤدِّي حقهم، فإن لله على العباد أن يُوحِّدوه ولا يشركوا به شيئاً، وللعباد بعضهم على بعضٍ حقَّ الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ **وهو يقول**: **"الصلاة وما ملكت أيمانكم"** **(أحمد)**

- **وقوله تعالى**: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{٣٥} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{٣٦} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ} أي ليس له اليوم مَن يُنقذَه من عذاب الله تعالى "لا حَمِيم" وهو القريب، وَلَا شَفِيع يُطَاعُ، ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين، **قال قتادة**: "هو شر طعام أهل النار، **وقيل**: "الغسلين": الدم والماء يسيل من لحومهم، **وقيل**: "الغسلين": صديد أهل النار" **(اهــ باختصار من "مختصر تفسير ابن كثير":٣/٥٨٤-٥٨٦)**

تنبيهان:

١- عند تطاير الصحف وفي هذا الموقف العصيب لا يعرف أحدٌ أحداً، الكل يقول: "نفسي نفسي" حتى الأنبياء.

فقد أخرج أبو داود والإمام أحمد عن عائشة-رضي الله عنه- قالت:

"ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ: "ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يُعْلَم أيخِفُّ ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضِع بين ظهري جهنم حتى يجوز"

(ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، وحسَّنه شعيب الأرناؤوط في "تخريج أحاديث جامع الأصول لابن الأثير": ١٠/٤٧٥)

٢- عندما يتسلَّم الإنسان كتابه بيمينه، علم أنه من أهل السعادة، وإذا تسلَّم كتابه بشماله علم أنه من أهل الشقاء، فلماذا أصبحت اليمين دليل الخير والسعادة، والشمال دليل الشر وكل ما هو مستقبح؟

بداية لابد أن نعلم أن الشرع الحكيم جاء وكرَّم اليد اليمنى، فنهَى عن الاستنجاء أو مسِّ الذكر باليد اليمنى، **فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**

"إذا شرب أحدُكم فلا يتنفَّس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمسُّ ذكرَه بيمينه، ولا يتمسَّح بيمينه"

أي لا يستنجي بيمينه

- وجعل الشرع اليمين للمصافحة والأخذ والعطاء والشرب والأكل إكراماً لها.

وذكر النووي -رحمه الله- في كتابه "رياض الصالحين" باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم": كالوضوء والغُسل والتَّيمُّم، ولبس الثوب والنعل والخُف والسراويل ودخول المسجد والسِّواك، والاكتحال، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء... وغير ذلك مما هو في معناه، ويُستحبُّ تقديم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط والبُصَاقِ عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف والنعل والسراويل والثوب، والاستنجاء وفعل المُستقذرات... وأشباه ذلك.

ثم ذكر النووي –رحمه الله– قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ...} الآيات

[الحاقة:١٩–٢٤]

وقال تعالى: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ{٨} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة:٨–٩]

ثم ذكر النووي جملة من الأحاديث تدل على هذا الأصل، واستحباب تقديم اليمنى في كل ما هو مستحب، وتقديم الشمال في كل ما هو خلاف ذلك، ومن هذه الأحاديث:–

– ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:

"كان رسول الله ﷺ يعجبه التَّيمُّن في شأنِه كلّه: في طهوره، وترجّله، وتنعّله"

– وأخرج أبو داود وغيره عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:

" كانت يد رسول الله اليمنى لِطُهُورِهِ وطعامه، وكانت اليسرى لِخَلائِهِ وما كان من أذى"

– وفي رواية أخرى عند أبي داود والترمذي من حديث حفصة –رضي الله عنها– قالت:

"إن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك"

وذكر النووي –رحمه الله– جملة من الأحاديث تحت هذا الباب نكتفي بما تقدَّم لعدم الإطالة.

– وورد ذِكْر اليمين في القرآن الكريم وعبَّر عنها بالقوة، وذلك في قصة إبراهيم عليه السلام

فقال رب العالمين في كتابه الكريم: {فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ{٩٠} فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ{٩١} مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ{٩٢} فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ} [الصافات:٩٠–٩٣]، والضرب باليمين كناية عن القوة وشدة البطش، **كما في قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ{٤٤} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ{٤٥} ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة:٤٤–٤٦]**

- وكذلك يقصد باليمين: اليُمن والخير والبركة، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"

ففي قول النبي ﷺ: "كلتا يديه يمين" دليل على اليمن والخير والبركة

- وقد ورد في بعض الأحاديث أن له يداً شمال

كما جاء في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال:

"يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟"

- وقد جمع بعض أهل العلم - كالشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- - بين قول النبي ﷺ: "كلتا يديه يمين"، والحديث الآخر: "إن له شمال"، فقال فضيلته:

"والجمع بين الحديثين واضح، أن الله تعالى له يد يمين وشمال، لكن كلتا اليدين يمين، أي: يُمْنٌ وخيرٌ وبركةٌ، فلا يتوهَّم واهمٌ أنه إذا كانت له يد شمال، أن يده الشمال قاصرة كما هي في المخلوقين، فالخلق أشرفهم البشر، ويد الشخص الشمال قاصرة عن يده اليمين، ولهذا نُهِيَ الإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، أو يأخذ بشماله أو يعطي بشماله، فلما كانت هذه هي صفة اليد الشمال عند البشر، رُفِعَ هذا الوهم بقول الرسول ﷺ: "كلتا يديه يمين". (اهـ من لقاء الباب المفتوح)

- **وكانت العرب تقول:** "فلان مني باليمين"، إذا وصفوه بالرفعة، وتقول: "فلان مني بالشمال" إذا وصفوه بالضِّعة.

- وكان شائع عند العرب أن اليمين أصل الخير، بخلاف الشمال، وكذلك كانوا يتفاءلون بالسانح: أي بالطائر إذا أخذ جهة اليمين، ويتشاءمون بالبارح: وهو الطائر إذا أخذ جهة الشمال.

- وكذلك اشتقوا من اليمين اليُمْن، وسمُّوا الشمال الشؤمى (وهي اليد والرِّجل اليسرى)

- **وقيل:** {أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}: يعني أصحاب اليمين، وهم السعداء، فهم ميامين على أنفسهم بطاعتهم
وقيل: {أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}: يعني أصحاب الشؤم، وهم الأشقياء، فهم مشائيم عليها بمعصيتهم.
ولهذا قال تعالى: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ{٨} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}
ومن ثَّم اقترنت دلالة اليمين على القوة والخير والبركة، بخلاف الشمال والتي تدل على الضعف والشقاء والخسران، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:**
"**ألا وإنه يجاء برجال من أُمَّتِي فيؤخذ بهم ذات الشمال**" أي إلى النار، وذلك بعدما أَخَذُوا كتابهم بشمالهم، وأما أهل اليمين فيؤتون كتبهم بأيمانهم، ويُؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجَنَّة.

- ويدلك على هذا الأمر أيضاً: "أن النبي ﷺ لما رأى آدم عليه السلام في السماء الدنيا وعن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة؛ فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، فسأل النبي ﷺ جبريل عن سر هذا، فأجابه جبريل عليه السلام تعالى: "هذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نَسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجَنَّة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى..." الحديث

- **مشهد تطاير الصحف**

يقول القرطبي –رضي الله عنه– في كتابة "التذكرة" (ص٢٥٥) مُصَوِّراً مشهد تطاير الصحف:

"فإذا بُعِثَ العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم مَن يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم مَن يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه، **وأنشد فقال:**

مثِّل وقوفك يوم العرض عرياناً	**مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا**
والنار تلهَّب من غيظ ومن حنق	**على العصاة ورب العرش غضبانا**
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ	**فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانـا**
لمـا قــرأت ولم تنكر قراءته	**إقرار مَن عرف الأشياء عرفانـا**
نـادَى الجليل خذوه يا ملائكتي	**امضوا بعبد عصا للنار عطشانا**
المشركون غداً في النار يلتهبوا	**والمؤمنون بدار الخلد سكانا**

فتوهم نفسك يا أخي...

– إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رءوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هَلُمَّ إلى العرض على الله تعالى، وقد وُكِّلَت الملائكة بأخذك، فقرَّبتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالنداء.

إذا فزع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغيّر لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم، وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهم نفسك... وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بليةٍ قد كنت نسيتها ذكركها! وكم من سيئةٍ قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عملٍ ظننت أنه سلم لك وخلص، فردَّه عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً!

فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرَّطت فيه من طاعة ربك.

- {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} فعلم أنه من أهل الجَنَّة؛ فيقول: {هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ} وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دُعي باسمه واسم أبيه، فيتقدَّم حتى إذا دني أخرج له كتاب أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويصفرّ وجهه ويتغيَّر لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غُفِرَت لك، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً، ثم يقلِّب كتابه، فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحاً، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيضّ وجهه، ويؤتى بتاج، فيُوضع على رأسه، ويكسى حلتين، ويحلى كل مفصلٍ فيه، ويطـــول ستين ذراعاً، وهي قـــامة آدم، **ويقـــال له**: "انطلق إلـــى أصحـــابك، فبشِّرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، **فإذا أدبر قال**:

{هَـــاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{١٩} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ{٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} **[الحاقة:١٩-٢١]**، أي مرضية، قد رَضِيها، {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} في السماء، {قُطُوفُهَا} ثمارها وعناقيدها، {دَانِيَةٌ} أدنيت منهم

فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، مَن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشّر كل رجل منكم بمثل هذا {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} أي قدَّمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأساً في الشر يدعو إليه، ويأمر به، فيكثر تبعه عليه، ونودي باسمه واسم أبيه، فيتقدَّم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود، بخط أسود، في باطنه الحسنات، وفي ظاهره السيئات، فبدأ بالحسنات فيقرؤها، ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه حسناتك، وقد رُدَّت عليك، فيسودّ وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلِّب كتابه، فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك - أي يُضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل - قال: فيعظم إلى النار، وتزرق عيناه، ويسودّ وجهه، ويكسى سرابيل القطران، **ويقال له**: "انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا،

فينطلق وهو يقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{٢٥} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{٢٦} يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}

يعني يتمنى الموت، {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ} **فسَّره ابن عباس –رضي الله عنه–**: "هلكت عني حُجَّتِي"

قال الله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ{٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} أي اجعلوه يصلى الجحيم

{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} الله أعلم بأي ذراع، **قال الحسن وقال ابن عباس –رضي الله عنه–:** "سبعون ذراعاً بذراع الملك، {فَاسْلُكُوهُ} **قيل:** "يدخل عنقه فيها، ثم يجرّ بها، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب، فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الحزن، فمَن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا، {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ} تخلع كتفه اليسرى، فيجعل يده خلفه، فيأخذ بها كتابه، **وقال مجاهد:** "يُحوَّل وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك.

فتوهَّم نفسك... إن كنت من السعداء، وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حلَّ بك الكمال والحسن والجمال، كتابك في يمينك، آخذ بضبعيك ملك ينادي على رءوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك، وتتخطى الخلائق كتابك في شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادي بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادي على رءوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

ثانياً: الــمـــيـــــزان

الناس يقفون يوم القيامة أمام قضاء عادل، تنفصم فيه عُرى القرابة والصداقة، وسائر روابط الإنسانية، فيقف الغني والفقير، وذو الجاه والصعلوك أمام قانون واحد حازم، تمهيداً لوزن أعمالهم بالقسطاس المستقيم العادل الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الظلم، **قال تعالى:** {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ{١٠١} فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{١٠٢} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ{١٠٣} تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}**[المؤمنون:١٠١-١٠٤]**

- عدالة الحساب ودقة الميزان:

ويدلك على هذا قوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} **[يونس:٦١]**

وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ{٦} فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ{٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} **[الزلزلة:٦-٨]**

فأعمال الإنسان مهما كانت ضئيلة؛ يجدها أمامه يوم القيامة، ويحاسب عليها، خيراً كانت أم شراً، كَبُرت أم صغرت، ولو تضاءلت في صغرها إلى مقدار الذرة، واقتران المثقال بالذرة كما جاء في الآية؛ يعطينا صورة للدقة والعدالة التامة، والتي لا تترك للمرء حسنة مهما دقَّت إلا ويُثاب عليها، ولا تترك سيئة مهما دقّت إلا ويحاسب عليها، فمثقال الذرة في الآيات الكريمة يُصوِّر لك دقة الحساب يوم القيامة،

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }**[الأنبياء:٤٧]**

فعلى الإنسان ألا يُحقِّر عملاً من الأعمال ولو كان صغيراً، فربُّ عملٍ صغيرٍ ينجيه اللهُ به من النار، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"**

- ومما يدل أيضاً على عدالة الحساب ودقة الميزان

ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن عائشة –رضي الله عنها-: "أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، واشتمهم واضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: بحسب ما خانوك وعصوك وكذَّبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم؛ كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم؛ اُقتُصَّ لهم منك الفضل، قال: فتنحَّى الرجل، فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: "أما تقرأ كتاب الله تعالى:

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧]، فقال الرجل: والله يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدكم أنهم أحرار كلهم"

- وعند موت الإنسان تنقطع الأعمال، فإذا كان يوم القيامة وُزنت أعمال العباد وزناً دقيقاً، فيُحاسب كلٌّ على أعماله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإن كانت أعمال الخير أكثر من أعمال الشر ولو بحسنة، دخل الجَنَّة، وإن غلبت سيئاته حسناته دخل النار، **كما قال العزيز الغفار:**

{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ{٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ{٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ}[القارعة:٦-١١]، وقال تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٨} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} [الأعراف:٨-٩]

يقول أنس ﷺ: "يؤتى بابن آدم يوم القيامة؛ حتى يوقف بين كفتي الميزان ويُوَكَّل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادي الملك بصوت يُسمِع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً..."

وقـــفـــة: أما مَن تساوت حسناته مع سيئاته، **فهم على الراجح من قول جمهور أهل العلم:** "إنهم أهل الأعراف، وهم أقوام على جبل بين الجَنَّة والنار، **قال تعالى عنهم: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ{٤٦} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف:٤٦-٤٧]**

- قال ابن كثير –رضي الله عنه- عن أصحاب الأعراف: "هم قومٌ استوت حسناهم وسيئاهم" نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف –رحمهم الله-.اهـ (مختصر تفسير ابن كثير:٢/٢٠٤)

وهؤلاء يشفع لهم النبي ﷺ ويدخلون الجَنَّة بفضل الله تعالى وعظيم كرمه.

- صفة الميزان(١):

ذُكر لفظ الوزن والميزان في القرآن الكريم في ثلاث وعشرين آية، منها خمس عشرة آية خاصة بالحثِّ على إقامة العدل في ميزان الدنيا، والحذر من التطفيف في الكيل والميزان... المستوجب لعذاب الله، ومنها ثماني آيات خاصة بالوزن في الآخرة، وهذا هو موضوع البحث-

والميزان عند أهل السُّنَّة: ميزان حقيقي تُوزَن به أعمال العباد، وخالف في هذا المعتزلة، وقلة قليلة من أهل السُّنَّة، كمجاهد والضحاك والأعمش، **فقالوا:** "إن المقصود بالميزان هو إقامة العدل" **(انظر"التذكرة" ص:٣١٣)**

قال ابن حجر –رضي الله عنه– كما في "فتح الباري"(٥٣٨/١٣): "قال أبو إسحاق الزجاج:

"أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد تُوزَن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، **وقالوا:** "هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسُّنَّة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين"، **وقال ابن فورك:** "أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها، **قال: "وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس:** "أن الله تعالى يُقلِّب الأعراض أجساماً فيزنه" **والراجح ما ذهب إليه الجمهور:** وهو وجود الميزان، وأنه حقيقي وله كفتان، وبه توزن أعمال العباد، **وذُكِرَ الميزان عند الحسن فقال:** "له لسان وكفتان" (٢). اهـــ بتصرف

– **ونقل الطبري قول مجاهد عند قوله تعالى:{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} قال:**

"ليس ميزانًا، إنما هو مثل يُضرَب"

ولعل هؤلاء العلماء فسروا الميزان بالعدل، **في مثل قوله تعالى: {وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ{٧} أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ{٨} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}[الرحمن:٧-٩]**، فالميزان في هذه الآية: العدل، أمر الله عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، أما الميزان الذي ينصب في يوم القيامة، فقد تواترت بذكره الأحاديث، وأنه ميزان حقيقي، وهو ظاهر القرآن. **(النهاية لابن كثير:٣٤/٢)**

– **وقد ردَّ الإمام أحمد على مَن أنكر الميزان:** "بأن الله تعالى ذكر الميزان في قوله:

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء:٤٧]، والنبي ﷺ ذكر الميزان يوم القيامة، فمَن ردَّ على النبي ﷺ؛ فقد ردَّ على الله ﷻ" **(فتح الباري:٥٣٨/١٣)**

---

(١) (القيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر–رحمه الله–: ص٢٣٨)

(٢) وقول *الحسن عن الميزان:* "له كفتان" فهذا واضح، *أما قوله:* "له لسان" فهذا يحتاج إلى دليل صحيح عن المعصوم ﷺ

وقد استدل شيخ الإسلام –رحمه الله – كما في "مجموع الفتاوي"(٤/٣٠٢)على:

"أن الميزان غير العدل، وأنه ميزان حقيقي توزن به الأعمال بالكتاب والسنة، **فقال –رحمه الله–**: "الميزان: هو ما يُوزَن به الأعمـــال، وهو غير العدل، كما دلَّ على ذلك الكتـــاب والسُّنَّة، **مثل قوله تعـــالى:**

{فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف:٨]، {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [المؤمنون:١٠٣]، وقوله: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:٤٧]

– وفي "الصحيحين" عن النبي ﷺ أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"

– وقال ﷺ عن ساقَيّ عبد الله بن مسعود ﷺ: "لَهُمَا في الميزان أثقل من أُحُد"

– وفي حديث البطاقة، وهو عند الترمذي: "في الرجل الذي يؤتى به، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كلُّ سجلٍّ منها مد البصر، فتوضع في كفة، ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، ووضعت في الكفة الأخرى فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"

وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال تُوزَن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن: العدل، كموازين الدنيا، وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب" (اهـــ كلام شيخ الإسلام –رحمه الله–)

– وقد ردَّ القرطبي على الذين أنكروا الميزان وأوَّلوا النصوص الواردة فيه وحمَّلوها على غير محملها قائلاً: "قال علماؤنا: "ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه، لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنَّة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه ردٌّ لما جاء به الصادق، **وفي "الصحيحين": "فيعطى صحيفة حسناته"، وقوله: "فيخرج له بطاقة"**، وذلك يدل على الميزان الحقيقي، وأن الموزون صحف الأعمال كما بيَّنا وبالله التوفيق. **(التذكرة: ص٣١٤)**

وخلاصة ما سبق: أنه يجب علينا أن نؤمن بالميزان من غير تأويل أو تكييف فهو من الأمور الغيبية، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في "مجموع الفتاوى"** (٣٢/٤٠): "وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب".

ويقول العلامة ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– بعد أن أورد النصوص الواردة في الميزان:
"فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة مَن ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة، كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: "لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفوَّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحدَ أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه" اهـ (**شرح الطحاوية: ص ٦١٣**)

وقــفــة:
من خلال ما سبق يتبيَّن لنا أنه ميزان حقيقي، ولا يعلم قدر هذا الميزان إلا الله تعالى
فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ قال:
"يُوضَع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقـــول الملائـكـة: يا رب، لِمَن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لِمَن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"
(صححه الألباني في صحيح الترغيب:٢٦ ٣٦")، (الصحيحه:٩٤١)

س: هل الميزان واحد توزن فيه أعمال العباد جميعاً، أم أن لكل واحد ميزانه الخاص به؟
وهذه من المسائل الخلافية التي اختلف فيها أهل العلم:-
– فذهب بعض من أهل العلم ومنهم الحسن البصري إلى:
"أن لكل شخص ميزاناً خاصاً؛ **واستدلوا بقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}[الأنبياء:٤٧]**
– بينما ذهب فريق من أهل العلم إلى: "أنه ميزان واحد، وأن الجمع في الآية إنما هو باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه، أو الأشخاص (**وهذا ما رجحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري:٥٣٧/٣**) **وهذا هو الراجح**. والله أعلم.

– وقد نقل السفاريني –رحمه الله– هذا الخلاف بين أهل العلم فقال:
"**قال الحسن البصري**: لكل واحد من المُكلَّفين ميزان، **قال بعضهم**: "الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد، **لقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ}**، **وقوله: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}[الأعراف:٨]**، **قال**: "وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان، **أورد هذا ابن عطية، وقال**: "الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به، والميزان واحد، **وقال بعضهم**: "إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة مَن توزن أعمالهم، وهو حسن" (**اهـ من لوامع الأنوار البهية:١٨٦/٢**)

ما الذي يوزن في الميزان؟

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال:-

القول الأول: أن الذي يوزن في الميزان هي الأعمال نفسها. (**وهذا القول رجَّحه الحافظ ابن حجر -رحمه الله-**)

ودليل ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة خلق حسن..." الحديث (**صحيح الجامع: ٥٧٢٦**)

- ويدل على هذا أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"

- وكذلك قول النبي ﷺ في "صحيح مسلم":

"... والحمد لله تملأ الميزان..."الحديث

وغير ذلك من أعمال الخير والبر: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وأمر بالمعروف، ونهي عن منكر... وغير ذلك.

ولعل قائل يقول: "كيف توزن هذه الأعمال وهي أمور معنوية غير محسوسة فهي عبارة عن أعراض وليست أجساماً؟

والجواب: أن الله قادر على أن يُحوِّل هذه الأعراض إلى أجسام والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

- أن العمل الصالح يأتي إلى العبد في قبره على هيئة رجل أبيض الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، أما العمل الطالح فيأتي إلى العبد في قبره على هيئة رجل أسود الوجه، خبيث الثياب، نتن الرائحة

- وكذلك مَن يمنع زكاة ماله يأتيه كنزه على هيئة شجاع أقرع-

- وكذلك الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ويتكلمان-

- وكذلك تأتي سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان(١)، أو فرقان(٢) من طير صواف تحاجان عن أصحابهما.

- وكذلك يؤتى بالموت يوم القيامة على هيئة كبش أملح، ويذبح.

- وكذلك القرآن يستقبل صاحبه عند خروجه من قبره.

القول الثاني: **إن الذي يوزن صحائف الأعمال**

قال السفاريني -رحمه الله- كما في "لوامع الأنوار البهية"(٢/١٨٧):

"والحق أن الموزون صحائف الأعمال (مال إليه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوَّبه الشيخ مرعي في "بهجته"،

---

(١) الغياية: أقل كثافة من الغمام، وأقرب إلى رأس صاحبها.

(٢) فرقان: طائفتان.

وذهب إليه جمهور من المفسرين، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي...) اهـــ بتصرف

ودليل هذا القول ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمرو –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن الله سَيُخَلِّصُ رجلاً من أُمَّتِي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كلُّ سجلٍ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظَلَمَكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أَفَلَكَ عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تُظلم، فتُوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء" (صحيح الجامع:١٧٧٦)

– يقول القرطبي –رحمه الله– كما في "التذكرة" (ص٣١٣):

"والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، **قال ابن عمر–رضي الله عنه–**: "توزن صحائف الأعمال، وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله– تعالى- رجحان إحدى الكفتين على الأخري دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجَنَّة أو النار" اهـــ

إشكال والرد عليه:

قد يقال في حديث البطاقة السابقة: "إن هذه البطاقة مع كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد ثبت في الأحاديث المتواترة دخول بعض العصاة الموحِّدين النار، ثم خروجهم منها، فكيف يمكن الجمع؟

– والجواب عن هذا أن يقال: "إن هذا الرجل أراد الله أن يرحمه، وهو ﷻ لا يُسأَل عمَّا يفعل وهم يُسأَلون – هذا قول.

وهناك قول آخر وهو: "إن هذا الرجل قالها بإخلاص ويقين تام، ثم مات على ذلك؛ فرجحت الشهادة على كل سيئاته، فالنطق بالشهادة بإخلاص ويقين تام مستلزم للتوبة من الذنوب الماضية إجمالاً، فبقيت ذنوبه مكتوبة، لكن ظهر أثر هذه التوبة عند الميزان، فثقلت كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، وخفَّت السيئات وطاشت.

وهناك قول آخر وهو: "إنه يبدل مكان السيئات حسنات، **كما قال تعالى:**

{فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}[الفرقان:٧٠]، أو عندما يعرض كتابه عليه ويقرّ بما فيه تمحى السيئات وتتبدَّل حسنات، كما في الحديث عن آخر رجل يخرج من النار، وآخر رجل دخولاً الجَنَّة-

حيث يقول الله له بعد أن يقر بذنوبه: **"لك بكل سيئة حسنة..."** **(والحديث عند مسلم)**

فمآل الأمر إلى التبديل، فهي مراحل مختلفة، في وقت يراها سيئات، ثم بعد ذلك تكون حسنات، وقد غفر الله تعالى لهذا الرجل، لكن أثر المغفرة ظهر عند الميزان، والله أعلم. **(اهـــ بتصرف واختصار من المنة شرح اعتقاد أهل السُّنَّة)**

القول الثالث: **إن الذي يوزن هو العامل نفسه**

فالعبد يوزن يوم القيامة فيثقل الميزان أو يخف بحسب إيمانه لا بضخامة جسمه أو نحافته

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

"إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا إن شئتم: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:١٠٥]"

وفي المقابل يثقل في الميزان صاحب الإيمان القوي حتى لو كان نحيفاً.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

"كنت أجتني لرسول الله ﷺ من الأراك [1] قال: فضحك القوم من دقة ساقيّ، فقال النبي ﷺ: مِمَّ تضحكون؟ قالوا: من دقَّة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لَهُمَا أثقل في الميزان من أُحُد" (الصحيحة:٢٧٥٠)

ولعل ما يرجح هذا القول: (إن الذي يوزن هو العامل نفسه) الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: "توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، فيوضع ما أحصي عليه، فتمايل به الميزان، قال: فيُبْعَث به إلى النار، قال: فإذا أُدبر به، إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان"

وقد ذهب حافظ بن أحمد الحكمي –رحمه الله– في كتابه "معارج القبول"(٢/١٨٧) إلى:

"أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله، وبهذا يتم الجمع بين النصوص، فقال –رحمه الله–:

"والذي استظهر من النصوص– والله أعلم– أن العامل وعمله وصحيفة عمله – كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن، قد وردت بكل ذلك، ولا منافاة بينها، ويدل كذلك ما رواه أحمد –رحمه الله– عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه– في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ:

"توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به الميزان، قال: فيُبعَث به إلى النار، قال: فإذا أدبر، إذا صائح من عند الرحمن عز وجل

يقول: لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها "لا إله إلا الله"، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان"

فهذا يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخري، وهذا غاية الجمع بين ما تفرَّق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة. اهـ

(١) أجتني لرسول الله ﷺ من الأراك: أي آتيه بعود من الأراك، وهو السواك.

– وقال الشيخ ابن باز –رحمه الله– في "تعليقه على العقيدة الوسطية":

"الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه لا بذات العامل ولا بالصحيفة". اهـ

ولعل الأقرب والذي تميل إليه النفس هو القول الثاني، وهو أن الذي يوزن هي صحائف الأعمال، أما الرجل فيقف بين كفتي الميزان لينظر أيخف ميزانه أم يثقل، **كما مر بنا قول أنس ﷺ**:

"يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان..." والله أعلم

تنبيهات وفوائد:

١- الحكمة من وضع الميزان

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي -رحمه الله-: "ونصب الموازين الحق يوم القيامة بين الخلق لفوائد عظيمة، وحِكَم بهيِّة اقتضتها الحكمة الإلهية، مع علم الله العليم الخبير بمقادير الأعمال الصغير والكبير، لا يغيب عن نظره غائب، ولا يفوته هارب، ولا يؤوده حفظ ما خَلَقَ وهو رب العرش العظيم، ولا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، وإنما الحكمة في وزن أعمال العباد: أن ذلك لامتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، **وقيل:** لإظهار علامة السعادة والشقاوة يوم القيامة، **وقيل:** ليعرف العباد ما لهم من خير وشر، **وقيل:** لإقامة الحُجَّة عليهم، **وقيل:** للإعلام بأن الله – جل جلاله- عادل لا يظلم من خلْقِه أحداً، متفضلٌ يُربي الحسنات لصاحبها ويضاعفها" **(منهاج السلامة في ميزان القيامة: ص١١٩)**

٢- القلوب هي محل نظر الرب سبحانه

كما قال النبي ﷺ في "صحيح مسلم": "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصبعه إلى صدره"

فالإنسان يثقل أو يخف من الميزان، لا لكونه ضخم البنيان أو بكثرة المال، أو صورته الحسناء، لكن التفاضل يكون بحسب ما في قلبه من تقوى وإيمان.

وقد جاء في "صحيح البخاري" من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال:

"مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌ إن خَطَبَ أن يُنكَحَ، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يُستَمع، قال: ثم سكت، فمرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حَرِيٌ إن خَطَبَ أن لا يُنكَحَ، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يُستَمع، فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ من مِلءِ الأرضِ مثل هذا"

- قال ابن القيم -رحمه الله- كما في "مدارج السالكين" (١/٣٣):

"الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب".

٣- يحضر النبي ﷺ الميزان حتى يشفع لأمته

ويدل على هذا ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله، اشفع لي يوم القيامة، قال: أنا فاعل، قلت: يا رسول الله، أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطيء هذه الثلاث مواطن"

قال القرطبي -رحمه الله- في كتابه "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" (٦٠/٩٩):

"وكأنه ﷺ لا يفارق أصحابه ولا أُمَّتَهُ في تلك الشدائد سعياً في تخليصهم منها، وشفقة عليهم، جزاه الله خير ما جزى نبيًّا عن أُمَّتِهِ، ولا حال بيننا وبينه في تلك المواطن" اهـ

٤- الميزان لا يكون في حق كل أحد

بدليل قول رب العالمين، عندما قال للنبي الأمين ﷺ:

"يا محمد أَدْخِل من أُمَّتِك مَن لا حساب عليه..." الحديث

وهم السبعون ألف الذين يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا سابقة عذاب.

٥- الكفار توزن أعمالهم

قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[الأنبياء:٤٧]، لكن كيف توزن أعمال الكفار وليس لهم حسنات ؟

يجيب عن هذا القرطبي -رحمه الله- حيث قال: "والجواب عن هذا من وجهين:-

الأول: أنه يوضع في إحدى الكفتين كفره وسيئاته، ولا يجد الكفار حسنة توضع في الكفة الأخرى، فترجح كفة السيئات لكون كفة الحسنات فارغة.

والثاني: أن حسنات الكافر من صلة رحم، وصدقة، ومواساة للناس توضع في كفة الحسنات، ولكن كفة السيئات ترجح بسبب كفره وشركه. **(التذكرة للقرطبي: ص٣١٢)**

والراجح: هو القول الأول؛ لأن الشرك والكفر يحبط العمل؛ **لقوله:**

{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]

وقال تعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} [الفرقان:٢٣]

وقال تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ}[إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: {مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِـــذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـــكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[1][آل عمران:١١٧]

ومما يدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الإمام مسلم وأحمد من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت:

"يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".

تنبيه:

الأعمال الصالحة التي يعملها الكافرون والمشركون؛ يجازيهم الله بها في الدنيا من الصحة والأمن والرزق والأولاد، و لم ينقصهم شيئاً من أجورهم، ولكن في الآخرة ليس لهم إلا النار.

ففي "صحيح مسلم" و"مسند أحمد" أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله لا يظلم مؤمناً حسنته، يعطى بها في الدنيا - وفي رواية: "يثاب عليها الرزق في الدنيا - ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بها بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى

(١) الصِرُّ: هو البرد الشديد، وهذه الرياح الباردة هي الكفر والشرك التي تحرق أعمالهم الصالحة.

بها" (السلسلة الصحيحة:٥٣)(صحيح الجامع: ١٨٥٣)

والحكمة من وزن أعمال الكفار: ليظهر لهم عظم سيئاتهم وشناعة أفعالهم.

- قال ابن كثير -رحمه الله- كما في "النهاية" (٢/٣٥):

"وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة لإظهار شرفهم على رءوس الأشهاد والتنويه بسعادتهم ونجاتهم، وأما الكفار فتوزن أعمالهم، وإن لم يكن لهم حسنات تنفعهم ويقابل بها كفرهم؛ لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رءوس الأشهاد. اهـ

٦- الميزان يكون بعد الحساب

يقول القرطبي -رحمه الله- في "كتاب التذكرة"(ص٣٠٩):

"وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، **{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً}[الأنبياء:٤٧]**. اهـ

٧- لا تحقرن من المعروف شيئاً

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح"

فعلى الإنسان أن يفعل الخير، ولا يحتقر أي عمل صالح ولو كان صغيراً، فقد يكون بهذا العمل الصغير النجاة من النار؛ **كما أخبر بذلك الحبيب المختارﷺ فقال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (البخاري ومسلم)**

- وقال ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" (مسلم)

- وقال ﷺ: "إن الرجل ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت؛ فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة"

- وقال ﷺ: "غُفِرَ لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس رَكِى يلهث كاد يقتله العطش؛ فنزعت خُفَّها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء فغُفِرَ لها بذلك" (البخاري)

- والرجل الذي رآه النبي ﷺ يتقلَّب في الجَنَّة بسبب غصن شجرة أزاله من الطريق

- وقال ﷺ: "سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدَّق به، ورجلٌ له مالٌ كثير فأخذ من عُرضه مائة ألف فتصدَّق بها" (النسائي)

وغير ذلك من الأحاديث، والتي من خلالها يظهر لنا جليًّا أن العمل اليسير الصغير ربما يكون سبباً لدخول الجَنَّة

والنجاة من النار-

٨- محاسبة النفس في الدنيا سبيل للنجاة من خطر الميزان

يقول صاحب "الإحياء"-رحمه الله-: "واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا مَن حاسب في الدنيا نفسه، ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، **كما قال عمر رضي الله عنه**:

"حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا، وزنوها قبل أن تُوزنُوا"

وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً، ويتدارك ما فرَّط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل مَن تعرَّض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيِّب قلوبهم حتى يموت و لم يبق عليه مظلمة ولا فريضة. اهـ

- أعمال يُثَقّل بها الميزان:

من المعلوم أن كل أعمال البر والخير تثقل الميزان، لكن هناك أشياء ذكرت بعينها تجعل كفة ميزان الحسنات ثقيلة جداً منها:

١- حُسـن الـخـلـق:

ودليل ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء" (صحيح الجامع:٥٧٢٦)

٢- الصبر على موت الولد:

فقد أخرج البزار عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوَفَّى للمرء المسلم فيحتسبه " (أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ) (وهو في صحيح الجامع:٢٨١٧)

ويتبيَّن من خلال الحديث السابق ما للذكر من فوائد وفضائل تثقل الميزان

وهناك أذكار أخرى مخصوصة تثقل الميزان ذكرها النبي ﷺ ومنها:-

٣- سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"

٤- الحمد لله:

ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي مالك الاشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"الطهور شطر الإيمان، والحمدلله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملآن (أو تملأ) ما بين السمآء والأرض"

٥- حبس الفرس في سبيل الله:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"مَن احتبس فرساً في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقاً بوعده، كان شبعه، وريه، وروثه، وبوله، حسنات في ميزانه يوم القيامة"

ثـــالثـــاً: الـحـــوض

والحوض معناه لغةً: "الجمع"، **يقال**: "حاض الماء، يحوضه: إذا جمعه"، ويطلق على مجتمع الماء **والحوض شرعاً**: هـو الماء النازل من الكوثر في حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة.

- صفة الحوض:

والحوض هذا أعطاه الله تعالى لنبيه في عرصـــات القيـــامة، وهو حوض واسع الأرجـــاء طوله مسيرة شهر، وعرضه كذلك، وزوايـــاه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، ويأتيه هذا المـــاء من نهر الكوثر في الجنَّة، والذي أعطـــاه الله لنبيه، ويترل المـــاء من الكوثر إلى الحـــوض عن طريـــق ميزابـــان أحدهمـــا من ذهب، والثـــانـــي مـــن فضة، وآنـــيـــة الحـــوض مـــن الذهب والفضة، وهي كعدد نجوم السماء، ويَرِدَه المؤمنون ليشربوا من يد الحبيب شربة لا يظمأون بعدها أبداً، **ويدل على ما سبق**:-

١- ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو **-رضي الله عنه-** قال: قال رسول الله ﷺ:
"حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء[1]، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، مَن يشرب منها فلا يظمأ أبداً"

٢- وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"حوضي كما بين صنعاء والمدينة، فيه الآنية مثل الكواكب"

٣- وأخرج الترمذي والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"حوضي من عدن إلى عمَّان البلقاء، ماؤُهُ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، مَن يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وُروداً عليه فقراء المهاجرين، الشُّعثُ رءوساً، الدُّنَّس ثياباً، الذين لا ينكحون المُتنعمات، ولا تُفتحُ لهم السُّدُدُ" (صحيح الجامع:٣١٦٢)

---

(١) زواياه سواء: أي مربع، لا يزيد طوله عن عرضه شيئاً.

٤- وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال:

"قلت: يا رسول الله! ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجَنَّة، مَن شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجَنَّة، مَن شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، وماؤها أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل".

٥- وأخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال:

"تري فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء"

- وفي رواية أخري عن ثوبان ﷺ قال: "سئل عن شرابه، فقال:

"أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغت(١)، فيه ميزابان يُمدَّانه من الجَنَّة، أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق(٢)"

- يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي "شارح الطحاوية" (ص٢٨٠):

"والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم، وموردٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجَنَّة من نهر الكوثر: الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. اهـ

(١) يغت: أي يصب ويسيل.

(٢) الوَرِق: الفضة.

- صفة نهر الكوثر:

وعندما نتكلم عن الحوض فلابد أن نتكلّم عن نهر الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لنبيِّه في الجَنَّة، وهو الذي يصبُّ في حوض النبي ﷺ، وهذا النهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، ومجراه من الدر والياقوت، وطينته المسك الأذفر، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك-

قال تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{١} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{٢} إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}[سورة الكوثر]

- أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"بينا أنا أسيرُ في الجَنَّة، إذ عرض لي نهرٌ، حافتاهُ قبابُ اللؤلؤ المجوَّف، قلت: يا جبريلُ ما هذا؟ هذا الكوثر الذي أعطاكهُ الله، ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكاً، ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فرأيت عندها نوراً عظيماً"

- وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"دخلتُ الجَنَّة، فإذا أنا بنهر حافتاهُ خيامُ اللؤلؤ، فضربتُ بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسكٌ أذفرُ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكهُ الله"

- وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"الكوثر نهرٌ أعطانيه الله في الجَنَّة، ترابُهُ مسكٌ، أبيضُ من اللبن، وأحلى من العسل، تردهُ طائرٌ أعناقُها مثل أعناق الجُزرِ[١]، آكِلُها أنعمُ منها" (صحيح الجامع:٤٦١٤)

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر **–رضي الله عنه–** قال: قال رسول الله ﷺ:

"الكوثرُ نهرٌ في الجَنَّة، حافتاهُ من ذهب، ومجراهُ على الدُّرِّ والياقوت، تُربتُهُ أطيبُ ريحاً من المسك، وماؤُهُ أحلى من العسل، وأشدُّ بياضاً من الثلج" (صحيح الجامع:٤٦١٥)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: لقد أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{١} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{٢} إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}[سورة الكوثر]**، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه وعدنيه ربي عز وجل، عليه خيرٌ كثيرٌ، وهو حوض تردُ عليه أُمَّتِي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيُختلجُ العبدُ منهم، فأقولُ: ربِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك"

وقد يظن البعض أن نهر الكوثر هو الحوض الذي وعد الله تعالى نبيَّه، ولكن الأمر بخلاف ذلك، فالكوثر نهر في الجَنَّة يصب في حوض النبي ﷺ الذي هو في العرصات.

- يقول "شارح الطحاوية"(ص٢٧٩):

---

(١) الجُزر: جمع "جزور"، وهي "النوق".

"إن نهر الكوثر- وهو ممتد في الجَنَّة- يشخب (أي: يسيل) منه ميزابان؛ لِيَصُبَّا في الحوض والذي هو في العرصات. اهـــ

- مسافة الحوض:

مرّ بنا الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء..." الحديث

فهذا يدل على أن طوله كعرضه في المسافة

وقد اُختُلف في تقدير المسافة على حسب اختلاف الروايات

- ففي حديث أنس: " كما بين أَيْلَة[1] وصنعاء من اليمن..."

- وفي حديث أبي هريرة ﷺ: "أبعد من أيلة إلى عدن..." (مسلم)

- وفي رواية: "ما بين نَاصِيَتَيّ حوضي كما بين أَيْلَة وصنعاء مسيرة شهر..." (ابن حبان)

- وفي رواية ابن عمر-رضي الله عنه-: "أمامكم حوض كما بين جرباء[2] وأذرح[3]" (البخاري ومسلم)

- وفي رواية ابن عامر: "كما بين أَيْلَة إلى الجحفة" (أحمد)

- وفي حديث جابر: "كما بين صنعاء إلى المدينة..."

- وفي حديث ثوبان: "ما بين عدن إلى عمان البلقاء" (الترمذي والحاكم)

- وفي رواية: "ما بين بصرى إلى صنعاء، أو ما بين أَيْلَة إلى مكة" (عبد الرزاق)

---

(١) أَيْلَة: مدينة كانت عامرة، وهي بطرف بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام، وهي الأن حراباً، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل: يمر بها الحاج من مصر فتكون شماليهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم.

(٢) جرباء: مدينة بالجزيرة.

(٣) أذرح: مدينة بالشام.

وهنا سؤال، لماذا هذا الاختلاف في تقدير المسافة؟

وقد رد القرطبي –رحمه الله– على هذا التساؤل فقال:

"ظن بعض القاصرين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب، وليس كذلك، **وقد قال القاضي عياض –رحمه الله–:** "هذا من اختلاف التقدير؛ لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطراباً من الرواة، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة، سمعوه في مواطن مختلفة، وكان النبي ﷺ يضرب في كلٍّ منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة، ويقرب ذلك للعلم ببعد البلاد النائية بعضها عن بعض، لا على إرادة المسافة المحققة، **ثم قال القرطبي –رحمه الله–:** "وليس اختلافاً، بل كلها تفيد أنه كبير متسع متباعد الجوانب، ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب مَن حضره ممَّن يعرف تلك الجهة، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها". اهـ

وقد يقال: "إن هذا الاختلاف راجع إلى نوع السير الذي قدر به الزمن، هل هو سير سريع أم بطيء"(١)

- يا حسرة مَن مُنِعَ عن الحوض وحُرِمَ أن يشرب من يد الحبيب ﷺ

ففي هذا اليوم العصيب، تتقطع أعناق الناس من شدة العطش، وإذا بالنبي ﷺ يسقي المؤمنين، ويذهب آخرون ليشربوا من يده، ولكن تحجزهم الملائكة وتمنعهم من الوصول إلى الحوض، لكن لماذا منعتهم الملائكة؟ هذا ما بيَّنَهُ النبي ﷺ

– فقد أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"إني فرَطُكم على الحوض، مَن مرَّ بي شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبداً، وليردَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحالُ بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سحقاً لمَن بدَّل بعدي"

– وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"تردُ عليَّ أُمَّتِي الحوض، وأنا أذودُ الناس عنه، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبله، قالوا: يا نبيَّ الله تعرفُنا؟ قال: نعم، لكم سيما ليسَتْ لأحدٍ غيركم، تردونَ عليَّ غُراً محجلين من آثار الوضوء، وليُصَدنَّ عنِّي طائفةٌ منكم، فلا يَصِلُونَ، فأقول: يا ربِّ هؤلاء من أصحابي! فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثُوا بعدك"

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"يرد عليَّ يوم القيامة رهطٌ من أصحابي- أو قال: من أُمَّتِي- فيُحَلَّؤُون(٢) عن الحوض، فأقول: يا ربِّ، أصحابي، فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثُوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري " – وفي رواية: "فيُجلون عن الحوض"

– وأخرج الإمام مسلم وأحمد أن النبي ﷺ قال:

---

(١) انظر (فتح الباري: ١١/٤٧٢)

(٢) يحلؤون: أي يُدفعون ويُطردون.

"إني على الحوض أنتظرُ مَن يرِدُهُ عليَّ منكم، فَلَيُقَطَّعنَّ رجالٌ دوني فلأَقُولَنَّ: يا ربِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَلَيُقَالَنَّ لي: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم"

- وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتى إذا أُهويت إليهم لأُناولَهُم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربِّ، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك"

- وأخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر **-رضي الله عنهما-** قالت: قال النبي ﷺ:
"إني على الحوض، حتى أنظرَ مَن يردُ عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا ربِّ! مني ومن أُمَّتِي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم"

- وأخرج الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"أُنزلتْ عليَّ آنفاً سورة**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{١} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{٢} إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}[سورة الكوثر]**
أتدرون ما الكوثر؟ فإنه نهرٌ وعدنيه ربي، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضي تردُ عليه أُمَّتِي يوم القيامة، آنيته كعدد النجوم، فيُختلجُ العبدُ منهم، فأقولُ: ربِّ إنه من أُمَّتِي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك"

وقفة مع قول النبي ﷺ: **"إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك"**

قال النووي –رحمه الله– كما في "شرح مسلم"(١٣٦/٣): "المراد بحديث النبي ﷺ أقوال منها:–

١– إن المراد به: المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا **بالغُرَّة** والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسمة التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء ممَّا وعدت بهم، إن هؤلاء بدَّلُوا بعدك، أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

٢– إن المراد: مَن كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتدَّ بعده، فيناديهم النبي ﷺ إن لم يكن عليهم سيمة الوضوء، لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدُّوا بعدك.

٣– إن المراد به: أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم ﷻ فيدخلهم الجَنَّة بغير عذاب، **ونقل القرطبي هذه الأقوال أو قريباً منها في "كتابه المفهم" (٥٠٤/١)، و"التذكرة"(ص٣٠٦) فقال –رحمه الله–: "قال علماؤنا – رحمة الله عليهم أجمعين –:**

"فكلُّ مَن ارتدَّ عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، و لم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبْعَدين عنه، وأشدهم طرداً مَن خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مُبدِّلون، وكذلك الظَّلَمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال و لم يكن في العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعْرَفون به، ثم يقال لهم: سُحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُظهِرون الايمان ويُسرِّون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم: سُحقاً سحقاً، ولا يخلد في النار إلا كل جاحد مبطل، ليس في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان " اهـــ

– ولا يمتنع أن يكون أولئك المُذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، وظاهرها أن المذادين ليسوا طائفة واحدة.

وقفة:

يستدلُّ الروافض بأحاديث الحوض على كفر الصحابة، **مستدلين بقول النبي ﷺ**:

"أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتى إذا أُهويت إليهم لأُناولَهُم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربِّ، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك" (مسلم)

أو يستدلُّون بقول النبي ﷺ في "صحيح البخاري ومسلم":

"يردُ عليَّ يوم القيامة رهطٌ من أصحـــــابي- أو قـــــال: من أُمَّتِي - فيُحَلَّؤُون عن الحوض، - وفي رواية: "فيُجلون عن الحوض -، فأقول: يا ربِّ، أصحابي، فيقول: إنه لا علم لك بما أحدثُوا بعدك، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقري "

وغير ذلك من الأحاديث، والتي ذُكِرَ فيها كلمة "**أصحابي**" أو "**أصيحابي**" بالتصغير.

وللرد على هؤلاء نقول:-

إن الله تعالى زكَّى الصحابة في كتابه الكريم، وترضَّى عنهم، والنبي ﷺ كذلك مات وهو راضٍ عنهم، فلا يُتصَوَّر أن يترضَّى الله عن أهل الفسق والفجور، فضلاً عن كونهم من أهل البدع أو المُرتدِّين، وإن غاب عن النبي ﷺ ماذا سيكون منهم بعد موته، فهل يغيب هذا عن رب العالمين؟!

لكن قد يكون المقصود بالأحاديث السابقة، والتي ذُكِرَ فيها كلمة "**أصحابي**" أحد أمرين: **الأول**: إن لفظ الصاحب لا يشترط فيه المعية، ولا المصاحبة الفعلية على حقيقتها، بل قد تُطلق على مَن تباعد بهم الزمان، كقول بعض متأخري الشافعية مثلاً: "هذا قول أصحابنا، ويقول هذا وبينه وبين صاحب القول مئات السنين، لكنه صاحبٌ له في المذهب أو الطريقه أو المنهج، وإن لم يصاحبه حقيقة بالجسد، فقول النبي ﷺ: "**أصحابي أصحابي**" أي الذين آمنوا بي واعتنقوا دين الإسلام، وإن تباعد بهم الزمان.

الأمر الثاني: أن المقصود بكلمة "**أصحابي**": هؤلاء الذين مات النبي ﷺ وهم على دينه ثم ارتدُّوا بعد ذلك، كما ارتدَّت كثيرٌ من قبائل العرب بعد موت النبي ﷺ، فهؤلاء في علم النبي من أصحابه؛ لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدُّوا بعد وفاته، **ولذا قيل له ﷺ**: "**إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقري**" فظاهر أن هذا في حق المُرتدِّين بعد موت النبي ﷺ، وأين أصحاب النبي ﷺ الذين قاموا بأمر الدين بعد نَبِيِّهم خير قيام، فقاتلوا المُرتدِّين، وجاهدوا الكُفَّار والمُنافقِين، وفتحوا الأمصار، وحاربوا البدعة وأهلها، ونشروا السُّنَّة في ربوع المعمورة، أين هؤلاء الصحابة من أولئك المنقلبين على أدبارهم، وهؤلاء المرتدُّون لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحابة إذا ما أُطْلِق، فالصحابي كما عرَّفه العلماء المحققون: "هو ما لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام".

فوائد و تنبيهات:

١- الأحاديث الواردة في الحوض متواترة، رواها عن الرسول ﷺ أكثر من خمسين صحابياً، ومع هذا فقد أنكر الخوارج وبعض المعتزلة أحاديث الحوض.

قال القرطبي -رحمه الله- في "المفهم": "ممَّا يجب على كل مُكلَّف أن يعلمه ويصدق به، أن الله ﷻ قد خصَّ نبيه محمداً ﷺ بالحوض المُصرَّح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين، منهم في "الصحيحين" ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك ممَّا صحَّ نقله واشتهرت رواته.

ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم... هَلُمَّ جَرًّا

- ومع هذا أنكرته طائفة من المبتدعة من الخوارج والمعتزلة.

يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "أنكره الخوارج وبعض المعتزلة، وممَّن كان ينكره "عبيد الله بن زياد"، أحد أمراء العراق وولده، وقد جاء عند أبي داود من طريق عبد السلام بن أبي حازم قال: "شهدت أبا برزة الأسلمي دخل على عبيد الله بن زياد، فحدَّثني فلان، وكان في السماط، فذكر قصة فيها أن ابن زياد ذكر الحوض، فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزة: نعم، لا مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثاً، ولا أربعاً، ولا خمساً، فمَن كذَّب به فلا سقاه الله منه"

- وقد أفاض الحافظ في ذكر الأحاديث الواردة في ذلك، وتتبع طرقها حتى قال:

"وجملة طرقها تسعة عشر طريقاً، وبلغني أن بعض المستأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابياً". اهـ

(انظر فتح الباري: ١١/٤٧٥)

٢- الحوض موجود الآن، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال:

"وإني والله لأنظرُ إلى حوضي الآن"

٣- الحوض يكون قبل الصراط: وقد اختلف أهل العلم في موضع الحوض

فذهب الغزالي والقرطبي: إلى أنه يكون قبل المرور على الصراط في عرصات القيامة، واستدلوا على ذلك بأنه يُؤخَذ بعض وارديه إلى النار، فلو كان بعد الصراط لما استطاعوا الوصول إليه.

ويدل على هذا ما رواه البخاري أن رسول الله ﷺ قال: "بينما أنا قائمٌ على الحوض، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هَلُمّ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، فقلت: ما شأنهم؟ فقال: إنهم قد ارتدُّوا على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة أخرى، حتى عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال لهم: هَلُمّ، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدُّوا على أدبارهم، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[1]"

(١) همل النعم: الإبل الضالة، والمعنى: أن الناجي منهم قليل.

– **بينما قال البعض:** "إن الحوض بعد الصراط، وهذا ما استظهره ابن حجر من مذهب البخاري، حيث أورد البخاري أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وأحاديث نصب الصراط.
وربما يُستدل بهذا الرأي بأن الحوض يُصبُّ فيه من نهر الكوثر وهو في الجَنَّة، والجَنَّة بعد الصراط. **(انظر فتح الباري: ٤٦٦/١١)**

وقد ذهب ابن القيم –رحمه الله– كما في كتابه "زاد المعاد" (٦٨٣/٣) إلى:
"أن الحوض قبل الصراط وبعده، وقال: "إذا كان الحوض بهذا الطول والسعة، طوله شهر وعرضه شهر، فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده. اهـ

لكن هذا الكلام بعيد؛ لأنه سيأتينا أن الصراط طويل لدرجة لا تتصور، حيث تجتمع عليه الأمم جميعها عندما تبدل الأرض غير الأرض، فهذا يدل على أنه طويل جداً، وأنه ليس كالحوض مسيرة شهر.

– **والراجح هو القول الأول:** وهو أن الحوض قبل الصراط. **(انظر "التذكرة" للقرطبي –رحمه الله)**

٤– لكلِّ نبي حوضٌ، وحوض النبي أكثرهم وروداً.
فقد أخرج الترمذي من حديث سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"إن لكل نبي حَوْضاً، وإنهم يَتَبَاهَوْن أيهم أكثر وَارِدة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وَارِدة" (صحيح الجامع:٢١٥٦)
– وفي رواية: "إن لكل نبيٍّ حوضاً ترده أُمَّتُه، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر وَارِدة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم وَارِدة" (الصحيحة:١٥٨٩)

٥– النبي صلى الله عليه وسلم يعرفُ أُمَّتَهُ عندما تَرِدُ على حوضه، من أثر الوضوء.
أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إن حوضي أبعد من أَيْلَة [1] من عدن[2] لهو أشدُّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصدُّ الناسَ عنه كما يصدُّ الرجلُ إبل الناسِ عن حوضه، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم، لكم سيما [3] ليست لأحدٍ من الأُمَم، تَرِدُون على غُرّاً مُحجَّلين من أثر الوضوء" (رواه مسلم)
– **ويذاد الناس من غير أُمَّتِه عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة**

(١) أَيْلَة: مدينة كانت عامرة، وهي بطرف بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام، وهي الأن خراباً، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل: يمر بها الحاج من مصر فتكون شماليهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم.
(٢) عدن: مدينة باليمن.
(٣) السيما: هي العلامة.

فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:

"والذي نفسي بيده لأذودَنَّ رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبةُ من الإبل عن الحوض"

٦- فضل أهل اليمن:

ويظهر فضل أهل اليمن عند الحوض حيث أهم أول مَن يتقدَّم للشرب من الحوض

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ثوبان ﷺ أن الرسول ﷺ قال:

"إني لبعقر حوضي[1] أذودُ الناس لأهل اليمن، وأضرب بعصاي حتى يرفضّ[2] عليهم..." الحديث

ومعنى **"أذود الناس لأهل اليمن"**: أي أطردُ الناس عنه غير أهل اليمن، ليرفضَّ على أهل اليمن، وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه، مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدُّمهم في الإسلام، وكانوا يدفعون عن النبي ﷺ أعداءه، فجزاهم النبي ﷺ أن دفع غيرهم عن الحوض حتى يشربوا هم أولاً.

قيل في حوض النبي ﷺ:

وإن له حوضاً هنيئاً شرابه	**من الشهد أحلى فهو أبيض سلسل**
يقدر شهراً في المسافة عرضه	**كأَيْلَة من صنعاء في الطّول أطول**
وكيزانـــه مثل النجوم كثيرة	**ورُواده حقاً أغُرّ مُحَجَّل**
من الأُمَّة المستمسكين بدينه	**وعـــنه ينحـــى مُحدثٍ ومبـــدِّل**
فيا ربِّ هبْ لي شربة من زلاله	**بفضلك يا مَن لم يزل يتفضَّل**

وأخيراً... تذكروا هذه الوصية واعملوا بها:

يقول النبي ﷺ:"إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"

(أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن زيد)

فيا أيها الأحبة... النبي ﷺ بيَّن لكم موعد اللقاء، وحدد المكان؛ فلا يتخلَّف منكم أحدٌ، وعليكم بالصبر إلى أن تلقوه، فتشربوا من يده شربة لا تظمأوا بعدها أبداً، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم لي ولكم ذلك ...آمين-

(١) عقر الحوض: هو موقف الإبل منه عند الورود، والمقصود: هو موضع الشرب منه.

(٢) يرفضُّ: يعني يسيل.

رابعاً: الصـــــــراط

والصراط هو المرحلة الأخيرة بعد تطاير الصحف والميزان والحساب وتقدير الجزاء، وهو من أخطر المشاهد التي ستواجه المسلم يوم القيامة، والمؤمن لن يهدأ روعه حتى يترك جسر جهنم وراء ظهره.

وقد اُختُلف في حقيقة الصراط على أقوال:-

١- مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يثبتون الصراط، ويقولون عنه:

"هو جسر حقيقي ممدود على متن جهنم، يَرِدُه الأولون والآخرون، مَن جازه دخل الجَنَّة، ومَن زلَّت قدمه وقع في النار - عياذاً بالله".

قال "شارح الطحاوية" -رحمه الله- (ص٤٦٩):

"ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، **كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: "سئل رسول الله ﷺ: أين الناس يوم تُبدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: هم في الظلمة دون الجسر"**

٢- وذهب فريق آخر إلى: "أن الصراط مجازي، وأولوا النصوص المصرحة به

يقول القرطبي -رحمه الله- كما في "كتاب التذكرة" (ص٣٣٢):

"**ذهب بعض مَن تكلَّم على أحاديث وصف الصراط:** "بأنه أدقُّ من الشعر، وأحَدُّ من السيف، وأن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيق، فضرب المثل بدقة الشعر، فهذا من هذا الباب، **ومعنى قوله:** "أحدُّ من السيف: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحَدِّه وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد، **وإما أن يقال:** "إن الصراط نفسه أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعر، فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي أن مَن يمرُّ عليه يقع على بطنه، ومنهم مَن يزلُّ، ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرُّون عليه مَن يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارِّين عليه مواطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله.

٣- وأنكر البعض وجود الصراط أصلاً، وهذا ما ذهب إليه القاضي عبد الجبَّار المعتزلي وكثير من أتباعه؛ زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجَنَّة؛ **المشار إليه بقوله تعالى**: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} **[محمد:٥]**، وطريق النار؛ **المشار إليه بقوله تعالى**: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} **[الصافات:٢٣]**

والراجح: هو ماذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة في كون الصراط حق وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل، كما ثبت في "الصحيحين" و"المسانيد" و"السنن" و"الصحاح" ممَّا لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمرُّ عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون. **(انظر لوامع الأنوار البهية:٢/١٩٢)**

وقد ردَّ الإمام القرطبي -رحمه الله- على الفريق الثاني من الذين يقولون: "إن الصراط مجازي" فقال: "ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن، فيجريه أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك للآثار المروية في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في "شرح العقيدة الواسطية"(٢/١٦٠):

"ويَرِدُ هنا سؤال وهو: **كيف يمكن العبور على طريق كهذا؟**

والجواب: أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، فالله تعالى على كل شيء قدير، ولا ندري كيف يعبرون؟ هل يجتمعون جميعاً في هذا الطريق، أو واحداً بعد واحد، الله أعلم. اهـ

- معنى قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} **[مريم:٧١]**

اختلف أهل العلم في معنى الآية على أقوال، أشهرها قولين: -

القول الأول: أن المراد بورود النار في الآية: هو دخول النار، وتكون برداً وسلاماً على أهل الايمان وهذا قول ابن عباس، وجابر ﷺ ومجاهد، ورجَّحه الشنقيطي **-رحمه الله-** في تفسيره أضواء البيان:٤/٣٧٦"

ويدل على هذا القول:

- قوله تعالى في فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود:٩٨]

- وقوله تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} [مريم:٨٦]

- وقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: ٩٨]

- وقوله تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا}[الأنبياء:٩٩]، فالورود في ذلك كله: الدخول

واستدلوا بقول أبي سمية: "اختلفنا في الورود، **فقال بعضنا**: "لا يدخلها مؤمن، **وقال بعضنا**: "يدخلونها جميعاً، ثم يُنجِّي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت له: "إنا اختلفنا في الورود، فقال: يرِدُونَها جميعاً"

- واستدلوا بما روي في "مسند الإمام أحمد" عن جابر مرفوعاً:

لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم يُنجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً" (لكن الحديث ضعيف، ضعَّفه الألباني -رحمه الله- في "ضعيف الجامع":٦١٦٩)

- وروى مسلم الأعور عن مجاهد أنه قال عند قوله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم:٧١] قال: "داخلها"

- وقال الشنقيطي -رحمه الله- في "كتابه أضواء البيان"(٣/٤٧٩):

"إن الله تعالى خاطب الناس بأنهم سيردون النار برّهم وفاجرهم، **بقوله:** {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} **[مريم:٧١]**، وبيَّن مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور **بقوله:** {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} **[مريم:٧٢]**، أي نترك الظالمين فيها، والدليل على أن ورودهم لها: دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: {وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا...} ، بل يقول: (وندخل الظالمين)، وهذا واضح كما ترى، **وكذلك قوله:** {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا} دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}، قوله: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا}

القول الثـــاني: "إن المقصـــود بالورود في الآية هو المـــــرور على الصراط- **وهذا هو الراجح-**

قال قتادة في قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} قال: "هو الممرُّ عليها"

- **وقال "شارح الطحاوية"-رحمه الله-** (ص ٤٧١):

"واختلف المفسرون في المراد بالورود في **قوله تعالى:** {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، **قال تعالى:** {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} **[مريم:٧٢]**

- وفي "الصحيح" أنه ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يلج النار أحدٌ بايع تحت الشجرة، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} **، فقال، ألم تسميعه قال:** {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} **[مريم:٧٢]**

وأشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمَن طلبه عدوه ليهلكوه و لم يتمكنوا منه يقال: نجَّاهُ الله منهم-

ولهذا قال تعالى: {وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً} **[هود:٥٨]**، {فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً} **[هود:٦٦]**، {وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً} **[هود:٩٤]**، و لم يكن العذاب أصـــــابهم، ولكن أصـــــاب غيرهم، ولولا ما خصَّهم الله به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد على النار، يمرُّون فوقها على الصراط، ثم يُنجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بيَّن ﷺ في حديث جابر المذكور أن الورود هو المرور على الصراط. اهـــ

ومِمَّا يدل على أن الورود المقصود به المرور على الصراط، **ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن مسعود ﷺ قال في قوله تعالى:** {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} **قال رسول الله ﷺ: "يردُ الناس ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم كمرِّ الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحلة، ثم كشدِّ الرَّجل[١]، ثم كمشيه"**

(صحيح الجامع:٨٠٨١)

---

(١) كشدِّ الرَّجل: العدو البالغ والجري.

- وروى هذا الحديث ابن أبي حاتم موقوفاً على ابن مسعود ﷺ حيث قال:

"يرد الناس جميعاً الصراط بأعمالهم، فمنهم مَن يمرُّ مثل البرق، ومنهم مَن يمرُّ مثل الريح..." الحديث

- وصدق الله العظيم حيث قال في كتابه الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ{١٠١} لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ} [الأنبياء:١٠١-١٠٢]

- وقال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوي"(٤/٢٧٩):

"إن المراد بالورود والمذكور في الآية: هو المرور على الصراط"

- وقال النووي -رحمه الله- في "شرح مسلم" (١٦/٥٨):

"والصحيح ان المراد بالورود في الآية: المرور على الصراط"

- وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله- كما في "الفتاوي الإسلامية"(١/١٥):

"المراد بالورود هو المرور على الصراط"

وقـفـة:

قد يقال: "إن الورود على النار ورودان: **الورود الأول:** وهو ورود الكفار النار يعني دخولهم فيها،

كما قال تعالى في شأن فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود:٩٨]

وقد مرَّ بنا أنهم يُؤْمَر بهم فيدخلون النار قبل المرور على الصراط-

والورود الثاني: ورود كل مَن أعلن كلمة التوحيد، أي مرورهم على الصراط على النحو المذكور في الأحاديث

يقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

"ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها" **(معارج القبول: ٢/٨٥٣)**

- خوف السلف من هذه الآية {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً} **[مريم:٧١]**

قد غيَّرت هذه الآية أحوال الصالحين؛ فأسهرت ليلهم، وعكَّرت عليهم صفو العيش وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات-

ذكر ابن جرير الطبري –رحمه الله– في "تفسيره" (١٦/ ١١٠):

"أن أبا ميسرة كان إذا أوى إلى فراشه قال: ياليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا الله أنا واردوها، و لم نخبر أنا صادرون عنها.

– وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال: "قال رجل لأخيه:

"هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رُئِيَ ضاحكاً حتى لحق الله"-

– وقال ابن عباس –رضي الله عنه– لرجل يحاوره: "أما أنا وأنت يا أبا راشد فسَنَرِدُها، فأنظر هل نصدر عنها أم لا؟"

وأخرج عبد الرزاق في "مصنفه"عن قيس بن أبي حازم قال:

"كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته، فبكى؛ فبكت امرأته، فقال: ما يبكيكِ؟ فقالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني تذكرت قول الله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم:٧١]، فلا أدري أأنجو منها أم لا".

نصيحة:

اجعل أخي الحبيب هول الصراط أمام عينيك، ولا تجعله يغيب عنك؛ فهذا يملأ قلبك خوفاً من الله تعالى، فإذا خفته في الدنيا أمَّنك يوم القيامة، **كما جاء في الحديث القدسي أن رب العالمين قال:**

"وعزَّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمِنَني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي" (رواه أبو نعيم في "الحلية" عن شداد بن أوس وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٤٣٣٢)

- مشهد ما قبل الصراط:

وقبل الحديث عن الصراط، لنا وقفة مع مشهد ما قبل الصراط، حيث يأخذ بالكفار والمشركين إلى النار، قبل مرور الناس على الصراط، وقد أخبر الحبيب النبي ﷺ عن هذا المشهد، وصَوَّرَهُ لنا تصويراً دقيقاً.

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد ﷺ:

"أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟[١] قال رسول الله ﷺ: نعم، هل تضارُّون[٢] في رؤية الشمس بالظهيرةِ صَحواً ليس معها سحابٌ؟ وهل تُضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر صَحواً ليس فيها سحابٌ؟ ما تُضارُّون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تُضارُّون في رؤية أحدهما[٣]، إذا كان يومُ القيامة أذَّن مُؤذنٌ: ليتبعْ كلٌّ أمةٍ ما كانت تعبُدُ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبُدُ غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يَبْقَ إلا مَن كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر، وغُبَّرِ[٤] أهل الكتاب، فيدعى اليهودُ، فيُقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبدُ عُزَيْراً ابن الله! فيقال: كذِبْتُم، ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولد، فماذا تبغونَ؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسْقِنا، فيُشار إليهم: ألا تَرِدُونَ؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سرابٌ[٥] يَحطمُ بعضها بعضاً[٦]، فيتساقطون في النار،

---

(١) هل نرى ربنا يوم القيامة: إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا فهي لم تحصل لأحد، لكن في الآخرة سيراه المؤمنون، *كما جاء في "صحيح مسلم" عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:* "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"

(٢) تضارون: أي لا تضُرُّون أحداً، ولا يضركم أحدٌ بمنازعة ولا مضايقة.

(٣) ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما: وهذا من باب تشبيه الرؤية بالرؤية من حيث الوضوح وعدم الشك ورفع المشقة لا كتشبيه المرئي بالمرئي، فكيف يشبه الخالق بالمخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٤) غُبَّر: غبَّرهم: يعني بقاياهم، جمع "غابر"

(٥) السراب: هو الذي يتراءى للناس- في الأرض القفر والقاع المستوي- وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فالكُفّار يأتون جهنم وهم عطاشى، فيحسبونها ماء، فيتساقطون فيها.(انظر صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٢٦)

(٦) يحطم بعضها بعضاً: معناه لشدة اتقادها، وتلاطم أمواج لهبها، والحطم: الكسر والإهلاك، والحطمة: اسم من أسماء النار؛ لكونها تُحطِّم ما يُلقَى فيها.

ثم يُدعى النَّصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبُدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغونَ؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسْقِنا، فيُشَار إليهم، ألا تَرِدُونَ؟ فيُحشرون إلى جهنم كأنها سرابٌ يَحطِمُ بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبْقَ إلا مَن كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر؛ أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رَأَوْهُ فيها، قال: فما تنتظرون؟ تتبع كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تعبُدُ، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفْقرَ ما كنَّا إليهم، و لم نصاحبهم[١]، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، (مرَّتَيْن أو ثلاثاً)، حتى إن بعضهم ليكادُ أن ينقلب[٢]، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، الساق، فيُكْشَفُ عن ساقٍ[٣]، فلا يبقى مَن كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أَذِن الله له بالسجود، ولا يبقى مَن كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً[٤]، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه[٥]، ثم يرفعون رءوسهم، وقد تحوَّل في الصُّورة التي رأوهُ فيها أوَّلَ مرةٍ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربُّنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلُّ الشفاعة[٦]"

---

(١) *يقول النووي* **–رحمه الله–** *شارحاً لقول النبي ﷺ:* "يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم و لم نصاحبهم" *قال: "معنى قولهم:* "التضرع إلى الله في كشف هذه الشدة عنهم، وأنهم لزموا طاعته ﷻ وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممَّن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم، وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم، ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان، فإنهم يقطعون من حادَّ الله ورسوله ﷺ مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم، فآثروا رضا الله تعالى على ذلك. اهـــ، وكأن مرادهم بهذه الكلمة: أي كنا في الدنيا محتاجين إلى الناس و لم نتبعهم لأجل أننا فارقناهم في الدين، فكيف نتبعهم اليوم وهم يذهبون إلى النار؟

(٢) ينقلب: أي يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى.

(٣) فيكشف عن ساق: *فسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث:* "الساق" هنا بالشدة، أي يكشف عن شدة وأمر مهول، وهذا مَثَلٌ تضربه العرب لشدة الأمر، *ولهذا يقولون:* "قامت الحرب على ساق... وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمَّر ساعده، وكشف عن ساقه للاهتمام به (وممَّن قال بهذا: النووي –رحمه الله–)، لكن المراد بالساق هنا: هي ساق رب العالمين، وهناك رواية صريحة تؤكد هذا، حيث *قال النبي ﷺ:* "فيكشف عن ساقه"، والضمير عائد على رب العالمين.

(٤) جعل الله ظهره طبقة واحدة: *قال الهروي وغيره:* "الطبقة: فقار الظهر، أي صار فقاره واحدة كالصحيفة، فلا يقدر على السجود لله تعالى.

(٥) وفي هذا يقول تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ{٤٢} خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم:٤٢-٤٣]

(٦) الجسر: بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان: وهو الصراط، ومعنى: "تحِلُّ الشفاعة": بكسر الحاء، وقيل: بضمها، أي تقع ويؤذن فيها"

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي في "كتاب التخويف من النار" (ص١٨٧):

"واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يُمُرُّون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط. اهـــ

ويدل على ذلك ما في "الصحيحين" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه؛ فيتبع الشمس من يعبدها، ويتبع القمر مَن يعبد القمر، ويتبع الطواغيت مَن يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأُمَّة فيها منافقوها" فذكر الحديث إلى أن قال: "ويُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأُمَّتِي أول مَن يجيزه"

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعُزير من أهل الكتاب؛ فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عبّاد الأصنام والشمس والقمر... وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فترد النار مع معبودها أولاً، وقد دلَّ القرآن على هذا المعنى **في قوله تعالى في شأن فرعون: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} [هود:٩٨]**

وأما مَن عَبَدَ المسيح والعُزير من أهل الكتاب، فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون في النار بعد ذلك.

وقد ورد في حديث آخر: "أن مَن كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه، وكذلك من كان يعبد العُزير.

وفي حديث الصور: "أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح وملك على صورة العُزير، ولا يبقى بعد ذلك إلا مَن كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأُمَّة وغيرها، ثم يتميَّز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين. **(انظر التخويف من النار: ص١٨٨)**

- كيفية حشر الكفار إلى جهنم وبئس القرار:

– فإنهم يُحشَرون إلى جهنم مع آلهتهم الباطلة، وأعوانهم، وأتباعهم، **قال تعالى**: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ{٢٢} مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} **[الصافات:٢٢-٢٣]**

– ويُحشَرون كذلك كقطعان الماشية جماعات جماعات، ينهرون نهراً غليظاً، ويصاح بهم من هنا وهناك، كما يفعل الراعي ببقره أو غنمه،{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} **[الزمر:٧١]**، {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً} **[الطور:١٣]**، وقال: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} **[فصلت:١٩]**، ومعنى يوزعون: أي يجمعون، تجمعهم الزبانية أولهم على آخرهم، كما يفعل البشر بالبهائم-

– ويحشرون إلى النار على وجوههم، **قال تعالى**: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً}**[الفرقان:٣٤]**

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال: "يا رسول الله، كيف يُحْشَر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: "أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة" قال قتادة: بلى وعزة ربنا"

– ومع حشرهم على هذه الصورة المنكرة على وجوههم فإنهم يحشرون عُمياً لا يرون، وبُكماً لا يتكلمون، وصُماً لا يسمعون {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً}

[الإسراء:٩٧]

– وقبل أن يصلوا إلى النار تصك مسامعهم أصواتها التي تملأ قلوبهم رعباً وهلعاً {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} **[الفرقان:١٢]**

– وعندما يبلغون النار ويعاينون أهوالها يندمون ويتمنون العودة إلى الدنيا كي يؤمنوا {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**[الأنعام:٢٧]**، ولكنهم لا يجدون من النار مفرًّا: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً} **[الكهف:٥٣]**

– وعند ذلك يؤمرون بالدخول في النار وغضب الجبار أذلاء خاسرين {فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} **[النحل:٢٩]**

- قبل المرور على الصراط يتمايز المؤمنون عن المنافقين

مرَّ بنا أن الكفرة والمشركين يُذهَب بهم إلى نار الجحيم، ويبقى في عرصات القيامة اتباعُ الرسل الموحِّدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، وتلقى عليهم الظلمة قبل الجسر، **كما في الحديث الذي يرويه مسلم في "صحيحه" عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "سئل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: هم في الظلمة دون الجسر"**[1]

الحاصل أن يوم القيامة تختفي فيه مصادر النور العادية، فتكور الشمس، وتنكدر النجوم
كما قال تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ{1} وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ}[2] [التكوير:١–٢]

ويُبعث الخلق في ظلمة شديدة، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، وفي هذا اليوم العصيب المُظلم يعطي الله ﷻ النور لكلِّ مَن أعلن كلمة التوحيد في الدنيا، حتى إذا اقترب الجميع من الصراط، أبقى الله ﷻ النور للمؤمنين الصادقين المخلصين، **كما قال تعالى:**

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم} [الحديد:١٢]

ويسلب الله تعالى النور من المنافقين عند الاقتراب من الصراط، وهنا يخاف المؤمنون أن يُطفَأ نورهم فدعوا ربهم **{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم:٨]**

– نقل ابن كثير في "تفسيره"(٧/٦١) عن مجاهد والضحاك والحسن قولهم في هذه الآية:

"هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ". اهــ

ويدل على هذا ما جاء عند الطبراني عن ابن عباس –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال:

"إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، أما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا، فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً"

وعندما ينطفئ نور المنافقين في هذا اليوم العصيب شديد الظلمة، يركبهم الخوف والهم، ويقعون في رعب شديد، فيلجأون إلى المؤمنين أن يعطوهم شيئاً من النور الذي معهم فيقولون: "انظرونا نقتبس من نوركم" فيشير عليهم المؤمنون أن يعودوا إلى المكان الذي أعطاهم الله ﷻ فيه النور، فيعود المنافقون إلى الوراء، ويتقدَّم المؤمنون إلى الإمام، فإذا تمايز الفريقان، ضرب الله بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبَلِهِ العذاب"

– يقول "شارح الطحاوية"(ص٤٧): "وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلَّفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم"

---

(١) جمع *الحافظ ابن رجب* –رحمه الله– *بين هذا الحديث والحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عائشة* –رضي الله عنها–: "أنها سألت النبي ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبدَّلُ الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: على الصراط"، – *فقال ابن رجب* –رحمه الله–: "ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يقع تبديل الأرض والسموات، وطي السماء من حين وقوع الناس في الظلمة، وعند ذلك إلى حال المرور على الصراط. والله أعلم. اهــ (التخويف من النار: ص ١٣٥)

(٢) الشمس كورت: يعني أزيل ضياؤها، أو لفت وطويت. – النجوم انكدرت: أي تساقطت وهوت.

- وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن هذا المشهد المهيب، والمفارقة بين المؤمنين الصادقين وبين المنافقين المخادعين؛ فقال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{١٢} يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ{١٣} يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{١٤} فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}[الحديد:١٢-١٥]

وبعد التميز والمفارقة يبدأ المرور على الصراط، وأول زمرةٍ تُجيزُ الصراط، سبعون ألفاً لا يحاسبون.

فقد روى الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي الزبير: "أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال: "نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا[1] انظر إلى ذلك فوق الناس، قال: فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: مَن تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلَّى لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم، منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء..."

وفى الحديث أن أول زمرة تجيز الصراط سبعون ألفاً يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، فإذا اشتقت أن تكون منهم، فعليك أن تتصف بصفاتهم، حيث قال النبي ﷺ عنهم: "هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطَيَّرُون، وعلى ربهم يتوكَّلُون". (رواه البخاري ومسلم)

---

(١) *يقول ابن رجب -رحمه الله- في تعليقه على هذه اللفظة من الحديث:*"أصل هذه اللفظة تصحيف من الراوي للفظ (كوم)، فكتب عليه كذا وكذا لإشكال فهمه عليه، ثم كتب انظر إلى ذلك، يأمر الناظر فيه بالتروي والفكر في صحة لفظه، فأدخل ذلك كله في الرواية قديماً" (التخويف من النار: ص١٩٩)

وقد ذكر أن الصواب كما جاء في "المسند" و"كتاب السُّنَّة": "نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها..."

- أنوار المؤمنين تتفاوت يوم القيامة بحسب أعمالهم:

روى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

"يجمع الله الناس يوم القيامة" إلى أن قال: "فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم مَن يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم مَن يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم مَن يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم مَن يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر مَن يُعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا أضاء قدَّمَ قدمه، وإذا أطفأ قام، قال: فيمرُّ ويمرُّون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم مَن يمرُّ كشد الرَّجل [1]، يرملُ رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمرَّ الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد، وتخر رِجْل وتعلق رِجْل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون؛ فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجَّانا منك، بعد أن أراناك، لقد أعطانا ما لم يعطِ أحد" (ورواه الحاكم وصححه الألباني –رحمه الله- في تخريجه شرح الطحاوية)

تنبيه:

يتبين لنا من الحديث السابق أن نور المؤمن يوم القيامة يكون بقدر عمله الصالح، وكلما ازداد الإنسان من الأعمال الصالحة ازداد نوره حتى يكون كالجبل، وكلما ازداد من النور زادت سرعة المرور على الصراط، وكلما قلَّت الأعمال الصالحة قلَّ النور، وإذا قل النور قلت سرعة المرور على الصراط، وربما تعرض لللفحات، فعلينا أن نكثر من فعل الطاعات، فهي سبيل النجاة من كرب المرور على الصراط، لان مَن يمرّ كانقضاض الكوكب لا يرى لهيبها ويسمع حسيسا ولا يشعر بِحرَّها، بخلاف مَن أعطي نور على إبهامه فإنه تقل سرعته؛ فيشعر بِحَرِّها، ويُبْصِر لهيبها، وربما أصابته بلفحها.

وهناك أعمال تزيد من نور العبد على الصراط [2]

(١) شدّ الرجل: الشدُّ هو العدو البالغ والجري.

(٢) انظر المُلحق آخر الرسالة بعنوان (أعمال تزيد من نور العبد على الصراط)

- صفة الصراط، وكيفية المرور عليه:

والصراط هو جسر ممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنَّة، وله أوصاف ومنها:-

١- أنه أدقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف

- ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

"بلغني أن الجسر[١] أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف"

وهذا له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ إذاً لا مجال بالاجتهاد في الأمور الغيبية.

- وقال بعضهم: "أمامي موقف قُدام ربي يسألني وينكشف الغطاء، وحسبي أن أَمُرَّ على صراط كحدِّ السيف أسفله لَظَاءُ"

- وفي "مستدرك الحاكم" من حديث سلمان الفارس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"... ويوضع الصراط مثل حد الموسي، فتقول الملائكة: مَن يجوز على هذا؟ فيقول: مَن شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك" (صحيح الألباني في الترغيب والترهيب:٣٦٢٦)

وهذا الحديث يدلك على هول الصراط، حيث تخاف الملائكة من هوله، وهم ما عصوا الله طرفة عين، فهم معصومون غير محاسبين ومع ذلك فهم خائفون، فكيف بنا ؟؟؟!

اللهم ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وثبِّت على الصراط أقدامنا.

٢- أنه طويل جداً لدرجة لا يتصورها عقل

ولكن لتقريب الصورة للأذهان، ولِتَصَوُّر طول هذا الصراط، أن كل الأمم - فيما عدا الكفار- سيكونون عليه يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات.

- **فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي** عن عائشة -رضي الله عنها -قالت:

"سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: **{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}** [إبراهيم:٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال: على الصراط".

- وفي رواية عند الترمذي، قال ﷺ: "هم على جسر جهنم".

(١) الجسر: بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان: وهو الصراط". (انظر شرح النووي لمسلم:٣/٢٩).

٣- أنه دحضٌ زَلِقٌ لا تثبت عليه الأقدام ولا تسستقر إلا ما شاء الله

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:

"ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مَزَلَّة [(١)]" – وفي رواية أخري: "ثم يُؤتَى بالجسر فيُجعَل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله، ما الجسر؟ قال: مَدْحَضَة مَزَلَّة"

٤- أن له جنبتان [(٢)] وحافتان، ويموج بمَن مشى عليه إلا مَن ثبَّته الله تعالى

فقد أخرج الإمـــام أحمد والطبرانـــي وابن أبي عاصم بسند صحيح عن أبي بكرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "يُحمَل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جنبتا الصراط[(٣)] تقادع الفَرَاش في النار، قال: فيُنَجِّي الله – تبارك وتعالى – برحمته مَن يشاء" (حسَّنه الألباني في "ظلال الجَنَّة رقم:٨٣٧)

وصف أبو سليمان الداربي لأخته العبور فوق النار، فأقامت يوماً وليلة تبكي، وكلما ذكر لها ذلك؛ بكت، فقيل لأخيها في ذلك، فقال: إنها مثلت نفسها وهى على الجسر يتكفأ بها".

٥- عليه خطاطيف وكلاليب وحَسَك تأخذ مَن أمرت به

ففي حديث رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:

"فيه خطاطيف [(٤)] وكَلاليبُ [(٥)] وحَسَكٌ [(٦)]، تكون بنجد فيها شُوَيْكَةٌ يقال لها: السَّعْدَان [(٧)]"

– وفي رواية: "عليه خطاطيف وكلاليب وحَسَكَة مفلطحة[(٨)] لها شوكة عقيفاء[(٩)] تكون بِنَجْد يقال لها السَّعدان"

– وعند مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ؓ أن النبي ﷺ قال في حديث له عن الصراط:

"... وفي حافتي الصراط[(١٠)] كلاليب معلقة مأمورة، تأخذُ مَن أُمِرَت به..." الحديث

٦- على جانبتي الصراط الأمانة والرحم يشفعان للأمين والواصل

فقد أخرج الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة **–رضي الله عنه–** قالا: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) والمدحضة والمزلة بمعنى واحد: وهو الموضع الذي تزلُّ فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه: "دحضت الشمس" أي مالت، و"حجة داحضة" أي لا ثبات لها، والدحض أيضاً بمعنى الزلق.

(٢) من صفات الصراط: "أنه أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف"، فكيف يكون له جنبتان، فالجواب أن هذا من علم الله بالغيب الذي لا يمكن أن ندركه بعقولنا، فنردُّ علمها إلى الله تعالى.

(٣) تتقادع بهم جنبتا الصراط: يعني أن جنبتي الصراط تسقطهم في النار بعضهم فوق بعض.

(٤) خطاطيف: جمع خطاف، وهي حديدة معوجة.

(٥) كلاليب: جمع كلوب أو كلاب، وهي حديدة معقوفة الرأس.

(٦) حَسَكٌ: جمع حسكة: وهي شوكة صلبة من حديد.

(٧) نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب. ونقل الحافظ ابن حجر عن الزين بن المنير ρ أنه قال: "الحكمة من تشبيه الكلاليب بشوك السعدان، أن ذلك لسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة. اهـ (فتح الباري:١١/٤٦٢)

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفاء: أي ملتوية.

(١٠) حافتي الصراط : هما جانباه.

"يجمع الله – تبارك وتعالى – الناس(1)، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجَنَّة(2)، فيأتون آدم، فيقولون: استفتح لنا الجَنَّة، فيقول: وهل أخرجكم من الجَنَّة إلا خطيئة أبيكم؟ لست بصاحب ذلك (3) اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ (4)، اعمدوا إلى موسي الذي كلَّمه تكليماً، قال: فيأتون موسى، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله (5) وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم، فيُؤْذَن له، وترسل الأمانة والرحم(6)، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً"

وقـــفـــة: هذا الحديث يدل على خطورة وأهمية الأمانة وصلة الأرحام والتحذير من الخيانة والقطيعة، فالرحم والأمانة يقفان بجنبتي الصراط، وتستوقف الرحم مَن قطعها، وتقول: يا ربِّ، هذا قطعني، وإذا وصلها شهدت له، ودعت له بالسلامة والأمان، والأمانة كذلك تستوقف الخائن على الصراط، وتقول: يا ربِّ، هذا قد خان فانتصر لي منه، وإذا كان قد أدَّى الأمانة شهدت له بخير، ودعت له بخير، فكلٌّ مَن خان في أمانة فليحذر، وكلٌّ مَن هو قاطع للرحم فلينتبه، ولعل الحديث السابق يجعلنا نفهم مقصد النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الطبراني من حديث أبي بكرة رضي الله عنه:

"ما من ذنب أجدر أن يعجلَ الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدَّخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة، والكَذب..."، فيظهر من هذا الحديث أن هول الصراط من جملة العقوبات التي ادَّخرها الله للخائن وقاطع الرحم"

خلاصة ما سبق في وصف الصراط:

١- أنه جسر ممدود على متن جهنم من أولها إلى آخرها.

٢- أنه أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف.

٣- أنه طويل جداً، ولا يعلم طوله إلا الله.

٤- أنه دحضٌ مَزَلَّة.

٥- أنه له جنبتان وحافّتان.

٦- عليه خطاطيف وكلاليب وحسك تأخذ من أُمِرَت به.

٧- على جانبي الصراط، الأمانة والرحم يشفعان للأمين والواصل.

وبعد الحديث عن صفة الصراط يتبين لك أخي الحبيب خطورة الأمر، وأن الصراط من أخطر كرب يوم القيامة، ويدلك على هذا قول الأنبياء: "اللهم سلِّم سلِّم" وذلك عند مرور الناس على الصراط، ويدلك أيضاً على خطورته ووقوف النبي ﷺ عنده للشفاعة، ويدلك على هذا أيضاً قول الملائكة لرب العالمين عندما يضرب الصراط: "مَن يجيز هذا، فيقول: مَن شئت من خَلْقِي، فيقولونك سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك".

---

(١) يجمع الله الناس: أي بعد البعث بأرض المحشر.

(٢) تُزلف لهم الجَنَّة: يعني تُقرَّب لهم الجَنَّة.

(٣) لست بصاحب ذلك: أي لست صاحب التصريف بهذا المقام المنيف.

(٤) وراءَ وراءَ: هو بالفتح فيهما، *وقيل:* "بالضم بلا تنوين"، ومعناه: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع، *قال النووي* ρ: "والفتح صحيح، وتكون الكلمة مؤكدة كـ(شَذَرَ مَذَرَ) فركبهما، وبناهما على الفتح.

(٥) عيسى عليه السلام ليس هو كلمة الله، إنما جاء بكلمة الله وهي (كن)، ومن قال إن عيسي عليه السلام هو كلمة الله؛ فقد جعل كلام الله تعالى مخلوق، تعالى الله عن ذلك.

(٦) الرحم: هم القرابة، وهي كلمة تطلق على كل مَن يجمع بينك وبينهم نسب.

فلهذا ولغيره كان أبو سليمان الداراني –رحمه الله– يقول:

"إذا سمعت الرجل يقول لأخر: "بيني وبينك الصراط، فاعلم أنه لا يعرف الصراط، ولا يدري ما هو، لو عرف الصراط أحب ألا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد" (التخويف من النار: ص ٢٤١)

أخي الحبيب...اعلم أنه من أعظم ما ينجي الإنسان من هول الصراط وكربته، هي الأعمال الصالحة، وخصوصاً قضاء حوائج المسلمين، فهذا ممَّا يُثبِّت الله به الأقدام على الصراط الدحض الزلق.

فقد أخرج الطبراني عن ابن عمر **–رضي الله عنه–** أن رسول الله ﷺ قال:

"أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ: سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عن ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجةٍ؛ أحبُّ إليَّ من أن اعتكف في هذا المسجد شهراً، ومَن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومَن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومَن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له؛ أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام، وإن سوء الخُلق ليفسد العمل كما يُفْسِدُ الخلُّ العسل" (صحيح الجامع:١٧٦)

– وأودُّ أن أُذكِّر بقول أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن أمامكم عقبه كؤود لا يجوزها المثقلون، فأحب أن أتخفف لتلك العقبة".

– وكان أبو مسلم الخولاني –رحمه الله– يقول لامرأته:

"يا أم مسلم، شدي رحلك، فليس على جسر جهنم معبر".

ومراده –رحمه الله–: حثَّها على الاستعداد للمرور على الصراط بالأعمال الصالحة، إذ لا طريق غير الصرط لدخول الجَنَّة ومجاوزة الجحيم، ولا يمكن الجواز إلا بالأعمال الصالحة" (التخويف من النار: ص ٢٤١ للحافظ ابن رجب بتصرف)

فنسأل الله الجوَّاد الكريم أن ينجينا من كرب الصراط بفضله وكرمه، وأن ينجينا من عذاب النار، وأن يدخلنا الجَنَّة مع الأبرار.

- النبي ﷺ وأُمَّته أول مَن يجيزوا الصراط:

وروى البخاري ومسلم في "صحيحهما" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم الله: "هل تُضَارُّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيَتَّبع مَن كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويَتَّبع مَن كان يعبد القمر القمر، ويَتَّبع مَن كان يعبد الطواغيت (١)الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيَتَّبعونه، ويضرب الصراط (٢) بين ظَهْري جهنم، فاكون انا وأُمَّتِي أول مَن يُجِيز، ولا يتكلَّم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعْدان، هل رأيتم السَّعْدان؟(٣) قالوا: نعم يا رسول الله، قال: إنها مثل شوك السَّعْدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بَقِيَ بعمله (٤) ، ومنهم المُجازي حتى يُنجَّى..." الحديث

وفي رواية عند ابن أبي عاصم في السُّنَّة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "... الأنبياء بجنبتي الصراط، وأكثر قولهم: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، فأكون أنا وأُمَّتِي أول مَن يمر، أو قال: أو مَن يجيز..." الحديث (قال الألباني في "ظلال الجنَّة: إسناده جيد)

تنبيه:

أول مَن يُجِيز الصراط من هذه الأُمَّة بعد نبيها ﷺ هم فقراء المهاجرين

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه: "أن حبراً من أحبار اليهود سأل النبى ﷺ، أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر، قال: فمَن أول الناس أجازة؟ قال: فقراء المهاجرين".

---

(١) الطواغيت: جمع "طاغوت"، وهو كل مَن عُبد من دون الله ورضي بذلك.

(٢) يُضرب الصراط: يعني: يمد.

(٣) السَّعْدان: نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

(٤) المؤمن بَقِيَ بعمله: ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه:- أحدها: المؤمن بقي بعمله، والثاني: الموبق بعمله، والثالث: الموثق بعمله.

- أحوال الناس عند المرور على الصراط

عندما يبدأ الناس في المرور على الصراط، فإنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: ناجٍ مسلم، ومخدوش مرسلٌ، ومكدوس في نار جهنم.

وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث هو عند البخاري قال فيه:

"... فيمر المؤمنون كطرف العين[١]، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب[٢]، فناج مُسلَّمْ، ومَخْدُوش مُرْسل، ومَكْدُوس في نار جهنم"

– وفي رواية: "يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس[٣] في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسْحَبُ سحباً"

– قال النووي –رحمه الله–: "معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلَمُ فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يُخدَش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويلقى في جهنم"-

تنبيه:

هناك صنف رابع وهو مَن يحبس على الصراط ويعاني من لفح جهنم

وجاء ذكر هذا الصنف في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ويوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدانِ، ثم يستجيز الناس، فناج مُسلَّمْ، ومَخْدُوش به، ثم ناجٍ ومحتبسٌ به، ومنكوس فيها" (صحيح الجامع ٨١٨٩)

– وبيَّن النبي ﷺ سبب حبس هذا الصنف من الناس على الصراط

ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند صحيح عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "... ومَن رمى مسلماً بشيء يريد شَيْنَهُ به؛ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال"

---

(١) كطرف العين: أي يمر بسرعة إطباق الجفن على الجفن.

(٢) كأجاويد الخيل والركاب: من إضافة الصفة إلى الموصوف، قال في النهاية: "الأجاويد: جمع أجواد، وهو جمع "جواد"، وهو الجيد الجري من المُطِيِّ، والركاب: أي الإبل، واحدتها راحلة من غير لفظها، فهو عطف على الخيل، والخيل جمع "فرس" من غير لفظه.

(٣) مكدوس: تكدُس الإنسان: إذا دُفع من ورائه فسقط، ويروى بالشين المعجمة من "الكدش": وهو السَّوق الشديد، والكدش: الطرد، والجرح أحياناً.

- أحوال الناجين على الصراط

الناجون من هول الصراط تختلف سرعتهم عليه باختلاف إيمانهم وأعمالهم.

فمنهم مَن يمرُّ كالبرق أو كالطرف أو كالريح أو كالطير أو كأجاويد الخيل أو كالركاب أو يمر زحفاً يتلبَّط على بطنه، ومنهم مَن يمرُّ ولكنه يُخْدَش وتلفحه النار، والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

ما أخرجه الإمام مسلم من حديث حذيفة وأبي هريرة **-رضي الله عنه-** قالا: قال رسول الله ﷺ: "... فيمرُّ أولكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرِّجال [(١)]، تجري بهم أعمالهم [(٢)]، ونبيكم قائم على الصراط، فيقول: ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً..." الحديث

- وعند الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يَرِدُ الناسُ النارَ ثم يَصْدُرُون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالرِّيح، ثم كَحُضْرِ الفرس[(٣)]، ثم كالركاب في رحلِهِ ثم كَشَدِّ الرَّجلِ، ثم كمشيه" (صححه الألباني في "صحيح الترمذي":٢٥٢٦)

- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "يأمر الله بالصرط، فيضرب على جهنم، فيمرُّ الناسُ على قدر أعمالهم زُمَراً زُمَراً، أوائلهم كلمح البرق، ثم كمرِّ الرِّيح، ثم كمرِّ الطير، ثم كمرِّ البهائم، حتى يمرِّ الرجل سعياً وحتى يمرَّ الرجل مشياً، حتى يمرَّ آخرهم يتلبَّط [(٤)] على بطنه، فيقول: يا رب لِمَ بطَّأت بي؟ فيقول: إني لم أُبطِّيء بك إنما بطَّأ بك عملك". (حسَّن إسناده شعيب الأرناؤوط في "تخريج أحاديث جامع العلوم والحكم (٣٠٨/٢) وقال: روي مرفوعاً وموقوفاً)

- ويقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا}[مريم:٧٢]

أي إذا مرَّ الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها مَن سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي، بحسبهم، نَجَّى الله تعالى المؤمنين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا. اهـ

---

(١) شدّ الرجال: العَدْو البالغ، والجَرْي.

(٢) هو تفسير لقوله ﷺ: "فيمرُّ أولكم كالبرق... ثم كمرِّ الريح..."

(٣) كَحُضْرِ الفرس: أي كجري الفرس.

(٤) يتلبَّط: يتقلَّب.

- وهناك مَن تلفحه النَّار أو تخدشه الكلاليب، لكنه في النهاية ينجو

فقد أخرج الحاكم والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"... والصراط كحدِّ السيف دحض مزلة، قال: فيمرون على قدر نورهم، فمنهم مَن يمرُّ كانقضاض الكوكب، ومنهم مَن يمرُّ كالطرف، ومنهم مَن يمرُّ كالريح، ومنهم مَن يمرُّ كشدِّ الرِّجل، ويرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمرَّ الذي نوره على إبهام قدميه، وتخر رجل وتعلق رجل، فتصيب جوانبه النار".

- وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"... وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ ما أمرت به فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار..." الحديث.

- وفي رواية هي أيضاً في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"... وفى جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان، هل رأيتم شوك السَّعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السَّعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم مَن يوبق بعمله، ومنهم مَن يُخردل[1] ثم ينجو..." الحديث

- أخر رجل يمرُّ على الصراط:

ويخبر الحبيب ﷺ عن حال آخر رجل يمُّر من على الصراط ليدخل جنة رب الأرض والسموات فيقول ﷺ: "آخر مَن يدخل الجنَّة رجل يمشي مرة - أي على الصراط - ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منكِ لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين..." (رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ)

(١) يُخردل: أي يصرع أو يقطع قطعاً كالخردلة، والمخردل: المقطع، تقطعه كلاليب الصراط ثم ينجو.
(أفاده المُلا علي القاري ρ في كتابه "مرقاة المصابيح: ٥٤١/٩)

- شفاعة النبي لأحبائه عند الصراط:

أخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال:
"قلت: يا رسول الله، اشفع لي يوم القيامة، فقال النبي ﷺ: أنا فاعل، قلت: يا رسول الله أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن" (صححه الألباني في "الترغيب والترهيب" رقم:٣٦٢٥)

- وصية لَمن أراد أن يفوز بشفاعة النبي ﷺ:

أولاً: عليك بملازمة سنة النبي ﷺ، والاهتداء بهديه واقتفاء أثره
ثانياً: عليك بالتوحيد الخالص وعدم الشرك؛ لقول النبي ﷺ:
"أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه"
ثالثاً: الصلاة على النبي ﷺ عقب الآذان ثم طلب الوسيلة له.
رابعاً: الصلاة على النبي ﷺ صباحاً ومساءً ؛ لقول النبي ﷺ:
"مَن صلَّى عليَّ حين يُصبح عشراً وحين يُمْسِي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة"-
خامساً: عليك أن تُكثِر من السجود (راجع محاضرة الشفاعة من نفس السلسلة- محاضرة:٢٣)

- دعوة للمسارعة إلى فعل الخيرات

أحبتي في الله... مَن سارع في فعل الخيرات، سارع به عمله على الصراط، ومَن أبطأ في فعلها أبطأ على الصراط سعيه، وتعرَّضَ للفح النار، وخدش الكلاليب أو تقطيعها، وهول المنظر وفظاعته، وشدة الصراط وكربته.
- يقول خالد الورَّاق ρ: "كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت ثم قالت: إني لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حَمَلَتْهَا الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مُستغاثاً لكل ذنب، ولكن كيف لي بحسرة السَّباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غَداة الحشر، إذا بُعثر ما في القبور، ورَكِبَ الأبرار نجائب الأعمال؛ فاستبقوا إلى الصراط، ووالله لا يسبق مُقصِّر مجتهداً أبداً، ولو حبا المُجد حبْواً، أم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المُشتاقون، ووصل إلى الله المُحبُّون، وخُلِّفْتُ مع المسيئين المُذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد، انظر لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يُدرِك فيها الخُدَّام ما فاتهم من الخدمة، فويل لَمن قصَّر عن خدمة سيده، ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البَطَّالون" اهـــ
(صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/٢٦٤، بتصرف)

- أحوال الساقطين من الصراط

جاء وصف الساقطين من الصراط بأوصاف مختلفة: فمنهم المكردس، ومنهم المنكوس، ومنهم المكدوس

أولاً: المكردس (وهو من جُمِعَت يداه ورجلاه وألقى)[1]

وقد جاء ذكر هذا الصنف في الحديث الذي أخرجه ابن أبي عاصم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: "... والأنبياء بجنبتي الصراط، وأكثر قولهم: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ، فأكون أنا وأُمَّتِي أول مَن يمر، أو قال: أو مَن يجيز، قال فيمرُّون عليه مثل البرق، ومثل الريح الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، ومَخْدُوش مكلم، ومَكْردس في النار"

ثانياً: المكدوس (وهو المدفوع من ورائه) [2]

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "... ويؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكه مفلطحة لها شوكه عقيفاء تكون بنجد يقال لها: السَّعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مُسلَّمْ، وناج مَخْدُوش، ومَكْدُوس في نار جهنم، حتى يمرَّ آخرهم يُسحَب سحباً"

ثالثاً: المنكوس (وهو المقلوب الذي صار قدمه أعلى ورأسه أسفل)

وهذا حال صنف من الناس عندما تزلّ القدم على الصراط، ويهوي في نار جهنم برأسه

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم بسند صحيح في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال:

"يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، عليه حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدانِ، ثم يستجيز الناس، فناج مُسلَّمْ، ومَخْدُوش به، ثم ناجٍ ومحتبسٌ به، ومنكوس فيها" (صحيح الجامع ٨١٨٩)

---

(١) "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير: ٤/ ١٩٢"

(٢) (المصدر السابق:٤/١٥٥)

أخي الحبيب... تفكَّر فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقَّته، ثم وقع بصرك على سواد جهنَّم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط.

فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثاني، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يُنكّسون، فتسفل إلى جهة النار رءوسهم وتعلو أرجلهم! فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقي ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه!" (التذكرة: ص٣٣٢)

أبت نفسي تتوب فما احتيالي — إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى — بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا — فمنهم مَن يكب على الشمال
ومنهم مَن يسير لدار عدن — تلقاه العرائس بالغوالي
يقول له المهيمن يا وليي — غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وقال آخر:

إذا مدّ الصراط على جحيم — تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور — وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى — وطال الويل واتصل العويل

أخي الحبيب... اعلم أن العلماء قد عرَّفوا الصراط لغة: بأنه الطريق الواضح، فمتى استقام الإنسان على الصراط المستقيم الذي ضربه الله له في الدنيا، اتسع له الصراط الذي على متن جهنم، ومَن عدل عن الاستقامة في الدنيا تعثَّر وتردَّى في نار جهنم عياذاً بالله، ومتى خالف الإنسان هواه واتَّبع مولاه سلم من الخطاطيف والكلاليب يوم القيامة التي على الصراط، ومَن تخطَّفته الشهوات والأهواء وبَعُد عن رب الأرض والسموات، تخطَّفته الكلاليب والخطاطيف وألقته في نار جهنم.

قال تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً{٧١} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}

[مريم: ٧٢]

نسأل الله تعالى أن يُنجِّينا من جهنم بكرمه ومَنِّهِ، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

وأن يُثبِّت أقدامنا على الصراط.

يقول ابن رجب –رحمه الله– في كتابه "التخويف من النار والتعريف بحال البوار" (ص ٢٣٠):

"وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه، وأمرهم بسؤال الهداية إليه، فمَن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهراً وباطناً، استقام مشيُه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، ومَن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات؛ كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم، **كما في حديث أبي هريرة ﷺ: "إنها تخطف الناس بأعمالهم..."**

– يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في "مدارج السالكين"(١/١٦):

"وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على شفير جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط، فمنهم مَن يمرُّ كالبرق، ومنهم مَن يمرُّ كالطرف، ومنهم مَن يمرُّ كالريح، ومنهم مَن يمر كشد الرِّكاب، ومنهم مَن يسعى سعياً، ومنهم مَن يمشي مشياً، ومنهم مَن يحبوا حبواً، ومنهم المخدوش المُسلَّم، ومنهم المكدوس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القُذَّة بالقُذَّة جزاءً وفاقاً، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون" اهـ

– ويقول ابن القيم –رحمه الله– متحدثاً عن الصراط المستقيم:

"ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته، إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع له منها.

فإن الصراط المستقيم يتضمَّن علوماً وإرادات وأعمالاً وتروكاً ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت، فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد، وقد لا يعلمها، وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه، وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه، وهو الصراط المستقيم وإن عجز عنه، وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده، كسلاً وتهاوناً، أو لقيام مانع... وغير ذلك، وما تريده قد يفعله وقد لا يفعله، وما يفعله قد يقوم فيه شرط بشروط الإخلاص وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه، وهذا كله واقع سار في الخلق، فمستقل ومستكثر.

وليس في طباع العبد الهداية إلى ذلك، بل متى وكل إلى طباعة حيل بينه وبين ذلك كله، وهذا هو الإركاس الذي أركس الله به المنافقين بذنوبهم، فأعادهم إلى طباعهم وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم، والرب – تبارك وتعالى – على صراط مستقيم في قضائه وقدره، ونهيه وأمره، فيهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم بفضله ورحمته، وجعله الهداية حيث تصلح، ويصرف مَن يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته لعدم صلاحية المحل، وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إليه، فهو على صراط مستقيم.

ونصب لعباده من أمره صراطاً مستقيماً دعاهم جميعاً إليه حجة منه وعدلاً، وهدى مَن شاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلاً، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم لقائه نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه مَن صرف عنه في الدنيا، وأقام عليه مَن أقامه عليه في الدنيا نوراً ظاهرا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر، وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوه (أي الصراط) كما حفظ عليهم الإيمان به حتى لقوه، وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه، كما أطفأ من قلوبهم في الدنيا.

وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكاً تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه، وجعل قوة سيرهم وسرعتهم عليه على قدر قوة سيرهم وسرعتهم في الدنيا، ونصب للمؤمنين حوضاً يشربون منه بإزاء شربهم من شرعه في الدنيا، وحرم من الشرب منه هناك من حرم من الشرب من شرعه ودينه هاهنا.

فانظر إلى الآخرة كأنها رأي عين، وتأمَّل حكمة الله سبحانه في الدارين، تعلم حينئذ علماً يقيناً لا شك فيه: أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدهما، وبالله التوفيق.اهـ **(الداء والدواء: ص١٤٨-١٤٩)**

فمن أعظم عقوبات الذنوب، الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة.

وقال سهل بن عبد الله التستري –رحمه الله–: "مَن دقَّ الصراط عليه في الدنيا؛ عَرُضَ عليه في الآخرة، ومَن عَرُضَ عليه الصراط في الدنيا؛ دقَّ له في الآخرة" اهـ **(حلية الأولياء لأبي نعيم: ١٠/١٩٧)**

قال ابن رجب –رحمه الله– معلقاً على قول سهل التستري –رحمه الله–:

"ومعنى هذا أن مَن ضَيَّق على نفسه في الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهي وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا؛ كان جزاؤه أن يتَّسع له الصراط في الآخرة، ومَن وسَّع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المُحرَّمة والشبهات المُضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم؛ ضاق عليه الصراط في الآخرة، بحسب عمله، والله أعلم" اهـ **(التخويف من النار: ص٢٣٣)**

- القنطرة التي بين الصراط والجَنَّة:

بعد أن يمرَّ المؤمنون على الصراط ويظنُّون أن الأمر قد انتهى، وإذا بهم يقفون على قنطرة المظالم ليقتصَّ بعضهم من بعض في مظالم كانت بينهم، فيزداد ويرتفع المظلوم درجة أو درجات في الجَنَّة، ويخسر الظالم درجة أو درجات في الجَنَّة، فإذا نقوا وهذبوا ولم يبق لأحدهم في قلبه من غلٍّ أو حقدٍ أو بغضاء؛ أُذِن لهم في دخول الجَنَّة، وقد بيَّن النبي ﷺ تفاصيل هذا.

– فقد جاء في "صحيح البخاري" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الحبيب النبي ﷺ قال:
"إذا خلص المؤمنون من النار[1] حُبسوا بقنطرة بين الجَنَّة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجَنَّة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجَنَّة أدل منه بمسكنه كان له في الدنيا"

– قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في "فتح الباري"(١١/٤٠٧):
"ولأصل الحديث شاهد من مرسل الحسن، أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عنه قال: "بلغني أن رسول الله ﷺ قال: "يُحبس أهل الجَنَّة بعدما يجوزون الصراط حتى يُؤخَذ لبعضهم من بعض ظلماتهم في الدنيا، ويدخلون الجَنَّة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل"

تنبيه:
اختلف أهل العلم في القنطرة المذكورة، فقيل:
هي تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجَنَّة، وقيل: إنهما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي، ومال إليه الحافظ ابن حجر كما في "فتح البارى":٥/٩٦".

– قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في "فتح الباري (١١/٣٩٧)، (٥/٩٦) في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقوله ﷺ: "إذا خلص المؤمنون من النار" أي نجوا من السقوط فيها بعدما جازوا على الصراط، وفي اللفظ الأخير: "إذا خلص المؤمنون من النار"
وقوله ﷺ: "يُحْبسون بقنطرة بين الجَنَّة والنار" قد تقدَّم أن الصراط جسر موضوع على متن جهنم، وأن الجَنَّة وراء

(١) *قال القرطبي* **–رحمه الله–** *في "التذكرة":* "ومعنى: "ويخلص المؤمنون من النار" أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.
قال مقاتل: "إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرة بين الجَنَّة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا وطُيبوا، قال لهم رضوان وأصحابه: سلامٌ عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين. اهـ

ذلك، فيمرُّ عليه الناس بحسب أعمالهم، فمنهم الناجي وهو مَن زادت حسناته على سيئاته أو استويتا أو تجاوز الله عنه، ومنهم الساقط وهو مَن رجحت سيئاته على حسناته إلا مَن تجاوز الله عنه، فالساقط من المُوحدين يُعذب ما شاء الله، ثم يُخرَج بالشفاعة وغيرها، والناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات توازيها أو تزيد عليها، فيؤخذ من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها.

وقوله ﷺ: "فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا" المراد تتبع ما بينهم من المظالم وإسقاط بعضها ببعض، ولذا قال ﷺ: "حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجَنَّة" والمعنى أنهم إذا خلصوا من الآثام بمقاصة بعضها ببعض، ويشهد لهذا الحديث قوله ﷺ في حديث جابر:

"لا يحلُّ لأحدٍ من أهل الجَنَّة أن يدخل الجَنَّة ولأحدٍ قِبَلَه مظلمة"اهـ (شرح الحافظ ابن حجر –رحمه الله– ملخصاً)

– ويقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– عند قوله ﷺ:"فيقص لبعضهم من بعض":

"وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير؛ وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجَنَّة والنار لأجل تنقية ما في القلوب، حتى يدخلوا الجَنَّة وليس في قلوبهم غلّ، **كما قال تعالى:** {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ }[الحجر:٤٧]"

(شرح العقيدة الواسطية: ٢/١٦٣)

وقفة:

فعلى الإنسان منَّا أن يتحلّل في الدنيا من المظالم، وأن يردَّ الحقوق إلى أهلها، فيوم القيامة لا ظلم فيه ولا هضم، وستُردُّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

فعلينا جميعاً أن نعمل بقول النبي ﷺ:

"مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من مالٍ أو عرضٍ؛ فليأته فليستحلّها منه قبل أن يؤخذ..."

(مـلـحـق)

الأعمال التي تزيد من نور العبد على الصراط

١) المحافظة على الصلوات الخمس عامة والفجر خاصة

أخرج الإمام أحمد وابن حبان والدارمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص **–رضي الله عنه–** عن النبي ﷺ: "أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: مَن حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَيّ بن خلف" (صححه الألباني في "مشكاة المصابيح":٥٧٨)

ومن صور المحافظة عليها: أدائها في أول وقتها.

وأخرج الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"الطهـور شطر الإيمـان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو بائع نفسه فمعتقها أو موبقها"

– قال ابن رجب –رحمه الله– عن الصلاة في شرحه لهذا الحديث:

"وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة، فإن الأنوار تقسم لهم على حسب أعمالهم" اهـ

(جامع العلوم والحكم:٢/٢٣)

ومَن أراد أن يعطيه الله النور التام يوم القيامة؛ فعليه أن يحافظ على صلاة العشاء والفجر

فقد أخرج الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن بريدة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"بَشِّر المشَّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة" (صحيح الجامع:٢٨٢٣)

– وأخرج الطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"إن الله ليضيء للذين يتخللون إلى المساجد في الظلام نور ساطع يوم القيامة"

– قال السندي –رحمه الله– كما في "شرح سنن ابن ماجه" (١/٢٦٢):

هذا الحديث يشمل العشاء والصبح بناءً على أنها تقام بِغَلَس. اهـ

٢) المحافظة على صلاة الجمعة وآدابها واحتساب الأذان .

أخرج البيهقي والحاكم عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها، فيحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، رياحهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان، ما يطرقون تعجباً حتى يدخلون الجَنَّة، لا يخالطهم أحدٌ، إلا المُؤذِّنون المحتسبون" (صحيح الجامع:١٨٧٢)

٣) قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

أخرج البيهقي والحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين"

– وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: "كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة". (صحيح الجامع:٦٤٧٠)

٤) المداومة على قراءة سورة البقرة وآل عمران

أخرج الإمام مسلم عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة"

– **قال المناوي –رحمه الله– في معنى "الزهراوين"**: أي النَّيِّرَتَيْن، سميتا به لكثرة نور الأحكام الشرعية، وكثرة أسماء الله تعالى فيهما، أو لهدايتهما قارئهما، أو لما يكون له من النور بسببهما يوم القيامة، و"الزهراوين": تثنية "الزهراء"، تأنيث: "أزهر" وهو المضي الشديد.اهـــــــــ **(فيض القدير: ٦٣/٢)**

والحديث يحتمل الحث على مدوامة قراءة هاتين السورتين العظيمتين أو حفظهما.

٥) الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله ورمي العدو يمنح صاحبه نوراً يوم القيامة

فقد أخرج البزار عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"مَن رمى بسهم في سبيل الله؛ كان له نوراً يوم القيامة" (صححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب":١٢٩٨)

والشهداء سيكون لهم نور؛ **لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [الحديد:١٩]**

– قال الطبري –رحمه الله– في "تفسيره" عند قوله تعالى: {وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} قال:

"والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أو هلكوا في سبيله؛ لهم عند ربهم ثوابٌ ونورٌ عظيم" اهـ

٦) العدل وترك الظلم

فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله **–رضي الله عنه–** أن رسول الله ﷺ قال:

"اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك مَن كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم"

– قال النووي –رحمه الله– في "شرح مسلم"(١٦/٣٧٠): "قال القاضي:

"قيل: "هو على ظاهره، فيكون ظلمات على صاحبه، لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم"

فإن كان الظلم ظلمات يوم القيامة، فإن العدل سيكون نوراً لصاحبه يوم القيامة

٧) حلق الشعر في الحج

أخرج البزار والطبراني وابن حبان عن ابن عمر **–رضي الله عنه–** أن رسول الله ﷺ قال:

"وإذا حلق رأسه فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة، وإذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" (حسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب":١١٥٥)

أخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"... وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض؛ إلا كانت لك نوراً يوم القيامة" (حسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب":١١١٣)

٩) طلب العلم

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والدارمي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:
"ما من رجل يسلك طريقاً يطلب فيه علماً؛ إلا سهَّل الله له به طريق الجَنَّة، ومَن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (صحيح الجامع:٥٧١٥)

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
"مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهَّل الله له طريقاً إلى الجَنَّة"
تأمل الحكمة في ربط ترك العلم بالإبطاء على الصراط، فلعل العلم ممَّن يسرع بالعبد على الصراط، وليس النسب والحسب، ومن زادت سرعته زاد مروره.
- قال ابن رجب -رحمه الله- في "شرحه" على هذا الحديث:
"وقد يدخل في ذلك أيضاً تسهيل طريق الجَنَّة الحسِّي يوم القيامة - وهو الصراط - وما قبله وما بعده من الأهوال. اهـ **(جامع العلوم والحكم:٢٩٧/٢٠)**

- وجاء في "حلية الأولياء" (١٤٦/٩) عن الشافعي-رحمه الله- أنه قال:
"كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي قد أوتيت علماً، فلا تُدنِّس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة، يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم. اهـ **(كيف تنجو من كرب الصراط- د/ محمد بن إبراهيم بتصرف واختصار)**

١٠) قضاء حوائج الناس وتفريج كربهم

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر **-رضي الله عنهما-** أن رسول الله ﷺ قال:
"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، مَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كربة؛ فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومَن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
"مَن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..."
لم يقيِّد النبي ﷺ الكَرْب الذي سيفرج عن صاحبه يوم القيامة، وإنما أطلقه، والجزاء من جنس العمل، فقضاء حوائج الناس ومساعدتهم وتفريج كربهم، يفرِّج الله عنك به كُرباً من كرب يوم القيامة، والتي قد يكون أحدها كرب ظلمة

الصراط، فيزيد الله نورك بتفريج كرباً لغيرك في الدنيا فتزداد سرعتك،

لاسيما أنه صحَّ عن النبي ﷺ: "أن مَن مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له؛ أثبت الله قدمه يوم تزلُّ الأقدام" (صحيح الجامع: ١٧٦)

فبقدر ما تُيسِّر على أخيك المسلم سَيُيَسَّرُ عليك في ذلك اليوم العصيب، فاجمع لنفسك أكبر عدد ممكن من تنفيس الكرب لإخوانك المسلمين؛ تنل بعددها تنفيس كرب يوم القيامة.

١١) عدم نتف الشَّيب

مِنَ الناس مَن يخجل عند ظهور أول الشَّيب عليه، ويكره أن يُرى عليه فيقوم بنتفه، وما علم أن الشَّيب نور لصاحبه يوم القيامة.

فقد أخرج الطبراني والبزار عن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"مَن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة، فقال له رجل عند ذلك: فإن رجالاً ينتفون الشيب، فقال رسول الله ﷺ: مَن شاء فلينتف نوره"

ومن فضل ترك الشَّيب وعدم نتفه أن صاحبه سيمنح يوم القيامة أربعة أمور مهمة هي: نور على الصراط، وبكلِّ شعرة بيضاء حسنة، وتحط عنه سيئة، ويُرفع بها عند الله درجة"

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"لا تنتفوا الشَّيب فإنه نور يوم القيامة، ومَن شاب شيبة في الإسلام كُتِب له بها حسنة، وحُط عنه خطيئة، ورُفع له بها درجة" (حسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب":٢٠٩٦)

١٢) الدعاء بسؤال الله النور

أن تكثر سؤال الله ﷻ أن يمنحك نوراً، وذلك في سجودك أو عند توجهك إلى المسجد

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنه–:

"أنه رقد عند رسول الله ﷺ فاستيقظ فتسوَّكَ وتوضَّأ وهو يقول: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ}[آل عمران:١٩٠]**، فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام فصلَّى ركعتين، فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضَّأ ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذَّن المؤذن، فخرج إلى الصلاة وهو يقول: "اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً"

– وفي رواية عند النسائي: بأن النبي ﷺ قال هذا الدعاء في سجوده.

– قال ابن علان –رحمه الله–: قال القرطبي:

"هذه الأنوار التي دعا بها النبي ﷺ يمكن أن تحمل على ظاهرها، فيكون معنى سؤاله أن يجعل الله له في كل عضو من أعضائه يوم القيامة نوراً يستضيء به في تلك الظلم هو ومَن تبعه، والأولى أن يكون مستعارة للعلم والهداية. اهـ

(الفتوحات الربانية على الأذكار النووية: ٣٧/٢)

فالمسلم الفطن لا ينبغي أن يتوقف عن سؤال الله تعالى أن يفيض عليه نوراً، وسيستمر المؤمنون في سؤال ربهم ﷻ أن يتمِّم لهم نورهم يوم القيامة لأهميته، ألم تقرأ قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم:٨]**

– قال ابن كثير –رحمه الله– في "تفسيره" (٢٢٢/٦): "قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: "هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طُفِئ". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعـان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّـي ومـن الشـيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيـق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك